أكمل البيان

في

معنى الإسلام والإيمان والإحسان

تأليف

عبد العظيم بن بدوي الخلفي

دار الصفا والمروة

الإسكندرية



رقم الإيداع	٢٠٠٥ / ٩٣٥٨
الترقيم الدولى	I.S.B.N 977- 6168-00-0

دار الصفا والمروة

للنشر والتوزيع

١٨٥ ش جمال عبد الناصر ـــ سيدي بشر نهاية النفق ـــ الإسكندرية ـــ ج م ع

ت: ٥٤٩٦١٠٧ / ٠٣ ، فاكس : ٥٥٦٧١٣٤ / ٠٣

مقدمة الطبعة الأولى

إنَّ الحمْدَ لله ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعْمالنا ، مَنْ يهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له.

وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله ، وحْدَهُ لاشريكَ له ، وأشْهَدُ أنَّ محمَّدًا عبْدُه ورسولُه.

أمَّا بعد :

فأصْلُ هذا الشَّرْحِ خُطَبٌ ألقيْتُها في مسْجدِ حفيظةَ الْحَديد – يرحَمُها الله – بالقُوَيْسِمَة / عمَّان . في الفترة من (١٤٠٩/٣/٣هـ، الموافق ١٩٨٨/١٠/١٤م) إلى (١٤٠٩/٦/٦هـ، الموافق ١٩٨٩/١/١٣م) .

وقد كان بعْضُ الإخْوةِ من طَلَبةِ العلْمِ يُسجِّلون هذه الخُطَب، فوقَع في قَلْبي كتَابتُها رجاءَ أن ينْفعَ اللهُ بها مسْموعةً ومقْروءة ، فقُمْتُ بكتابتِها بعْد تَفْريغها من الأشرطة ولم أَزِدْ على تَهْذيبها ، ونِسْبةِ الأحاديث إلى أهْلها من أصْحابِ السُّنَن ، وقد اجْتَهْدتُ على اجْتِنابِ الأحاديثِ الضَّعيفَةِ قدْرَ الاستِطَاعة.

واللهَ عزَّ وجلَّ أسألُ أنْ يتقبَّل منِّي هذا العمل ، وأنْ يجْعلَني ﴿ **مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾

كتبه

عبد العظيم بن بدوي الخلفي

قبيل غروب شمس يوم الخميس

١٤١٠/١/٤هـ ، ١٩٨٩/٦/٨م

مقدمة الطبعة الثانية

إنَّ الحمْدَ لله ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِـنا وسيِّئاتِ أعمالنا ، مَنْ يهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له.

وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله ، وحْدَهُ لاشريكَ له ، وأشْـهَدُ أنَّ محمَّـدًا عبْـدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلا تَمُـوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْـتُمْ مُسْـلِمُونَ(١٠٢)﴾ [آل عمران] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِـدَةٍ وَخَلَـقَ مِنْهَـا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النســاء].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(٧١)﴾ [الأحزاب].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ وشـرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

وبعد ، فها هو " **أكمل البيان** " أعيد طباعتـه مـرة ثانيـة ، راجيًـا الله عزوجل أن ينفع به في الأولى والآخرة ، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . آمين .

كتبــه

عبد العظيم بن بدوي الخلفي

ضحى الاثنين ٢٣/١٠/١٤٢٥هـ

٦/١٢/٢٠٠٤م

بمنزلي الكائن بالشين / قطور / غربية

الحديث

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ قَالَ : « **بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، ولاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أحدٌ، حتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْه، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْه ، وقَال: يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ . وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ ، وتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وتَصُومَ رَمَضَانَ ، وتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً . قَالَ : صدقتَ. قال : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ . قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، ومَلائكَته ، وكُتُبِه ، ورُسُلِه ، والْيَوْمِ الآخرِ ، وتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِه وشرِّه. قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ . قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاكَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعة . قَالَ : مَا الْمَسْؤُولُ عنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ : أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها، وأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ . فَلَبِثْتُ مَلِيًّا . ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ** » [1] .

هذا حديثٌ عظيمٌ جدًا ، وقد اشتملَ على بيانِ الدِّين كلّه، ولذا قال ﷺ في نهايته : هذا جبريلُ أتاكم يُعَلِّمُكُم دينَكم .

1 – م (١/٣٦/٨)، ت (٤/١١٩/٢٧٣٨)، د (١٢/٤٥٩/٢٦٧٠)، جه (١/٢٤/٦٣)، نس (٨/٩٧) .

قال القاضي عياض : " وهذا الحديثُ قد اشْتملَ على شَرْحِ جميع وظائفِ العباداتِ الظَّاهرةِ والباطنة ، منْ عُقودِ الإيمانِ ، وأعمالِ الجوارحِ ، وإخـــلاصِ السَّرائر ، والتَّحفُّظِ من آفاتِ الأعْمال ، حتَّى إنَّ عُلومَ الشَّريعةِ كلَّها راجعةٌ إليه، ومتشعّبةٌ منه " (١)

وقال القُرطُبِيُّ بعْدَ أن نقلَ هذا الكلامِ : " فيَصْلُحُ هذا الحديثُ أنْ يُقالَ فيه: إنَّهُ أُمُّ السنَّة ، لما تضمَّنه من جُمَلِ عِلْمِ السنَّة ، كما سُمِّيَتِ الفَاتِحَةُ : أُمَّ الكتاب ، لما تضمَّنَتْهُ من جُمَلِ معاني القرآن "(٢)

قال الطَّيِّبيُّ : لهذه النُّكْتَةِ استَفْتَح به البَغويُّ كتابيْه " المصابيح " و " شرح السنَّة"، اقتداءً بالقرآنِ في افتتاحِه بالفاتحة ، لأنَّهـــا تضـــمَّنَتْ علُـــومَ القـــرآنِ إجْمالاً".(٣)

ولقَدْ تحدَّثنا في خُطَبِ سابقَةٍ عن حقيقةِ الإيمان ، وبيَّنا أن الإسْلامَ غيْـــرُ الإيمان ، وكان ذلكَ على وجْه الإجمال. (٤)

وها نحن نعيشُ مع هذا الحديث العظيم ، ونبيّن مراتبَ الدِّين كما جـــاءت فيه وهي :

الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، ونفصّل القولَ في كل مرْتَبةٍ من هـــذه المراتب ، مستعينَين باللهِ عزَّوجل ، ونسألهُ سبْحانه أنْ يُوفقنا لخيْرِ القولِ وأحْسَنِ العمل .

* * *

---

1 - إكمال المعلم : (٢٠٤ ، ١/٢٠٥) .

2 - المفهم : (١/١٥٢) .

3 - فتح الباري : (١/١٢٥) .

4 - انظر رسالتي " **معالم المجتمع المسلم كما بينتها سورة الحجرات** " .

أولاً : الإســـلام
الركن الأول : الشـــهادتان

الشَّهادتانِ هما الركنُ الأعظمُ في أركانِ الإسلام ، لا يـدخلُ العبـدُ فـي الإسلامِ إلاَّ بهما ، ولا يخرجُ منْه إلاَ بنقْضهما.

وهُمَا العُرْوَةُ الْوُثْقى، الَّتي قالَ اللهُ فيها : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُـؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا** ﴾ [البقرة :٢٥٦].

وهُمَا العَهْدُ الَّذي قالَ اللهُ فيه : ﴿ **لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ اتَّخَـذَ عِنْـدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا** ﴾ [مريم : ٨٧]، قالَ ابنُ عَبَّاسٍ : " العهْدُ هو شَهادَةُ أنْ لا إلَـهَ إلاَّ الله ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله " .

وهما القوْلُ الثّابتُ الّذي قالَ اللهُ فيه : ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا بِـالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾.[إبراهيم :٢٧]

وهما كلمةُ التَّقْوى الَّتي قالَ اللهُ عنْها : ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَـانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا** ﴾ [الفتح : ٢٦].

وهما الكَلمَةُ الطيِّبَةُ الَّتي قالَ الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَـثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَـا كُـلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ [إبراهيم : ٢٤، ٢٥].

وبهما تتعلَّقُ الشَّقَاوةُ والسَّعادةُ، وبهما تُؤْخَذُ كتُـبُ الأعْمَـالِ بـاليَمينِ أو بالشِّمال، وبهما يثْقُل أو يَخِفّ الميزان، وبهما تتعلَّق النَّجاةُ مـنَ النَّـار والفـوزُ بالجنة، فمَنْ أتى بهما دخلَ الجنَّة ونَجا من النَّار، ومَنْ لَمْ يأْتِ بهما فاتَتْه الْجَنَّةُ، وحُكِمَ علَيْه بالخُلودِ في دَارِ البَوار.

مَنْ لَقِيَ اللهَ بهما دخلَ الجنَّةَ عاجلاً أو آجلاً، عاجلاً إنْ ماتَ تائبًا غيرَ مُصرٍّ على مَعْصيَة، وآجلاً إنْ ماتَ غيْرَ تائبٍ وهو مُصرٌّ على المَعْصيَة ، ولم يَشأ اللهُ أنْ يغفرَ له، فهذا يُعَذَّبُ في النَّار بذنُوبه، ثم يُخْرِجُه اللهُ منْها برَحْمَتِه وشَفاعَة الشَّافعينَ منْ أهْلِ طَاعته، حتَّى لا يستوي أهلُ التَّوحيدِ وأهلُ الشِّرْك في الخلُود في النَّار، فأهْلُ التَّوْحيدِ إنْ دَخلُوا النَّارَ بذنُوبهم فَهُم لا يُخلَّدون فيها، وأمَّا المشْركون فهم فيها خالدون: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ** ﴾ [المائدة : ٣٧].

ولقَدْ جاء في فَضْلِ الشَّهادَتَيْنِ أحاديثُ كثيرَةٌ ، منْها :

قَوْله ﷺ : « **مَنْ شَهِدَ أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ** » [1].

وقَوْله ﷺ : « **مَنْ شَهِدَ أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأنَّ عيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه، وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وأنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وأنَّ النَّارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ** »[2].

وقوله ﷺ : « **إنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تسْعَةً وَتِسْعِينَ سجلاً، كلّ سجلٍّ مثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذا شَيْئًا ؟ أَظَلَمكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ : لا يَارَبّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فيَقُولُ: لا يَارَبّ، فَيَقُول: بلَى إنَّ لكَ عنْدَنا حَسَنَةً، وإنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَومَ، فَتَخْرَجُ بطَاقَةٌ فيهَا: أَشْهَدُ أنْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيقُولُ: يَارَبّ ! مَاهَذه الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذهِ**

---

1 – م (١/٥٧/٢٩)، ت (٤/١٣٢/٢٧٧٥) .

2 – متفق عليه : خ (٦/٤٧٤/٣٤٣٥)، م (١/٥٧/٢٨) .

السِّجلاَّت؟ فَيُقَالُ : فَإِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجلاَّتُ فِي كفّة، والْبطَاقَةُ فِي كفَّة، فَطَاشَتِ السِّجلاَّتُ، وثَقُلَتِ الْبطَاقَةُ، وَلا يَثْقلُ مَعَ اسْمِ الله تَعالَى شَيْئٌ » [1].

هذا هو فَضْلُ التَّوحيد. هذا هو ثَوابُ مَنْ أخْلَص دينَه لله، وأسْلَمَ وجْهَهُ لله، هذا ثوابُ مَنْ رَضِيَ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورسولاً.

« مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَ اللهَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ [2]**، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾** [النساء : ٤٨].

وفي الحديث عن النبي ﷺ عن الله عزّ وجل أنه قال :

« يَا ابْنَ آدم ! إنّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لكَ علَى مَا كَانَ منْكَ وَلاَ أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَم ! لَوْ بَلَغتْ ذُنوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لك . يا ابْنَ آدَم ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مغفرةً » [3].

مَا مَعْنَى لاَ إِلَهَ إلاَّ الله ؟

المعْنَى الحقيقيُّ لكلمة التَّوحيد على وَجْه الإجْمال : إفْرَادُ اللهُ تعالَى بالعِبَادة، والإقْرَارُ باطنًا وظاهرًا بأنَّه سُبْحَانَهُ الرَّبُّ الخَالقُ المَالكُ المُدبّر، الذي لا يُعْجزه شيءٌ في الأرْض ولا في السماء، ولا يَخْفَى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، والخُضوعُ والإذعانُ لِحُكْمه من غَيْر حرَج، وردُّ كلِّ أمرٍ يُخالفه، وَوَصْفُه سُبْحَانه بمَا وصَفَ به نَفْسَه، أو وَصفَهُ به نبيّهُ ﷺ . هذا هو

1 – صحيح : [ص.ت : ٢٦٣٩] ، ت (٤/١٣٣/٢٧٧٦) ، جه (٢/١٤٣٧/٤٣٠٠) .
2 – م (١/٩٤/٩٣) .
3 – صحيح : [ص. ت : ٣٥٤٠] ، ت (٥/٢٠٨/٣٦٠٨) .

معنى لا إله إلاَّ الله مجملاً.

أما تَفْصِيلُ مَعْنى هذه الكلمة، فإنّ العُلمَاءَ يقُولون :

إنَّ التَّوحيدَ ثلاثةُ أقْسامٍ : تَوْحيدُ الرُّبُوبيّة، وتَوْحيـدُ الألُوهيَّـة، وتَوْحيـدُ الأسْماءِ والصّفات.

أما تَوْحيدُ الرُّبوبيَّة : فهو الإقْرارُ باطنًا وظَاهِرًا بأنّ اللهَ سُبْحانَهُ هـو ربُّ كُلِّ شيءٍ ومليكُه، وأنه الخَالِقُ الرَّازِقُ، المُحْيي المُميت، المُدبِّر أمرَ كلِّ ما فـي هذا الكوْنِ عُلويِّه وسُفليِّه.

وأما تَوْحِيدُ الألوهيّة : فمعناهُ إفرادُ اللهِ سُبْحانه بالعبَادة، وعدمُ صَرْفِ أيّ جُزْءٍ من العبادة إلى غَيْرِ الله، فإنّ هذا هو معنى لا إلهَ إلاَّ الله، لا إلَهَ: نَفْيٌ، إلاَّ الله، إثْبَاتٌ، الجُزْءُ الأوَّلُ نَفَىَ اسْتحْقَاقَ الألوهيّةِ عن كلِّ شيءٍ، والجُزْءُ الثَّـاني أثْبَتَها للهِ وحْدَه، لا إلَهَ إلاَّ الله، معْناها: لا مَعْبُودَ بحقٍّ إلاَّ الله، فقد عبدَ المُشْرِكُونَ مِنْ دُون اللهِ أصْنامًا، حجارةً وأشجارًا، عبَدُوها بعْدَ أنْ نَحتُوها بأيديهم، عبَدُوها وسمّوها آلهة، وهي آلهةٌ باطلةٌ، عُبِدَت بغير حقٍّ، فإنَّ الإلَهَ الحقّ الذي يسْـتَحقُّ العبادةَ دُونَ سِوَاهُ هو الله، لأنَّ اللهَ هو الَّذي خلَق، وغيرُهُ ﴿ **لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ [النحل : ٢٠] ، فكيف يُسوّى الخالق بالمخلوق ؟.

وهذا التَّوْحيدُ الثَّاني هُو الَّذي مِنْ أجْلِه خلقَ اللهُ الخلـقَ، وخلـقَ الجنّـة والنَّار، ومِنْ أجْلِه أرْسَلَ الرُّسلَ وأنْزَلَ الكُتُبَ:

قال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات : ٥٦].

وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُـوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل : ٣٦].

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ**

إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥].

وقال تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْــتَعْجِلُوهُ سُــبْحَانَهُ وَتَعَــالَى عَمَّــا يُشْرِكُونَ(١) يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل : ١، ٢].

وهذا التَّوْحيدُ هو الَّذي جادَل فيه المُشْرِكُونَ وأنْكَرُوه، وقد كانوا يُقِــرُّونَ بالتَّوحيد الأوَّل : توحيدِ الرُّبوبيّة، كانوا يُقرُّون أنَّ اللهَ هو الخالِقُ الرَّازِقُ المُحْيي المُميتُ المُدبِّر، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّــنْ يَمْلِــكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَــيِّ وَمَــنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [يونس : ٣١].

كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، ولكنهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَــهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ(٣٥) وَيَقُولُــونَ أَئِنَّــا لَتَــارِكُوا آلِهَتِنَــا لِشَــاعِرٍ مَجْنُــونٍ ﴾ [الصافات:٣٥، ٣٦].

فعلى المُسْلِم أن يعْلَمَ أنَّ الاعترافَ بأنَّ الله هو الخالِقُ الــرازِقُ، المحيــي المميتُ، المدبِّر، لا يُغْنِي عنْهُ مِنَ اللهِ شيئًا إلاَّ إذا أقرَّ واعْتَــرفَ بــأنَّ اللهَ هــو المُسْتَحِقُّ للعبادَةِ دُونَ سواه، ثم عَمِلَ بمُقْتضَى هذا الإقرار.

توحيد الأسماء والصفات :

أما تَوْحيدُ الأسْماءِ والصِّــفَاتِ فمعناه : إثباتُ ما أثْبَتــهُ اللهُ لنَفْســه مــنَ الأسْماءِ والصِّــفاتِ في مُحْكَمِ كتابهِ أوْ علَى لسانِ رسُوله ﷺ ، مِنْ غَيْرِ تَشْــبيهٍ ولا تَحْريف، ولا تَعْطيلٍ ولا تَكْييف. ونَفْيُ ما نَفاه اللهُ عَنْ نَفْسه في مُحْكَمِ كتابه أوْ علَى لِسَانِ رسُوله ﷺ ، فلا يجوزُ أنْ يُسَمّى اللهُ أو يُوصَفَ بما لَمْ يُسَــمِّ بــه نَفْسَه أو يَصِفْها به، ولا يجوزُ نَفْيُ ما أثْبَتَه اللهُ لنفسه، فالإثبــاتُ كــالنَّفي فــي

التَّحْريم، فمَنْ قال : منْ أسماءِ الله كذا، ومنْ صفاته كذا، منْ غَيْـرِ حُجّـةٍ ولا بُرْهانٍ فقَدِ افْتَرى على اللهِ الكَذِبَ، ومَنْ نَفى عَنِ اللهِ ما أثْبَتَه اللهُ لنفْسه فقد كذَّب بالحق بعْد إذ جاءَه.

والصِّـفاتُ التي وردَتْ في الكتابِ والسُّـنَّةِ نوْعـان : صِـفَاتُ ذَاتٍ ، وصِفَاتُ فِعْلٍ.

فأمَّا صِفَاتُ الذَّاتِ فكالنَّفْس ، والحيـاة ، والعِلْـم ، والسَّـمْع، والبَصَـر، والكلام، والْوَجْه، واليد، والسَّاق، ونَحْوِ ذلك.

وأما صِفَاتُ الفعْلِ فكالاستِواءِ، والنُّزولِ، والمَجيءِ، والرِّضَى، والغَضب، والضَّحك، والفَرح، ونَحْوِ ذلك.

والواجبُ عَلَيْنا نحْوَ هذه الصِّـفاتِ الإيمانُ بها، وإثْبَاتُها لله، كما ذكرنـا، منْ غَيْرِ تَشْبيهٍ ولا تَحْريفٍ ، ولا تَعْطيلٍ ولا تَكْييف، فـلا نقـول : نَفْـسُ الله كأنْفُسنا، ولا يَدُ الله كأيْدينا. ولا نقـول: اسْـتَواءُ الله كاسْـتوائنا، ومَجـيءُ الله كمجيئنا، ولا نُحرِّف الكَلِمَ عنْ مَواضعه، بتأْويلٍ أو تَغْيير، كالَّذين قالوا: يَـدُ اللهِ قُدْرَتُه، واستوى ربُّنا على العرش : يعني اسْتَوْلى عليه. وإنَّما نقولُ مـا قالَـه الإمامُ الشَّافعيُّ رضيَ اللهُ عنه: " آمنْتُ باللهِ ، وبما جاءَ عَنِ اللهِ ، على مُرادِ الله، وآمنتُ برسُولِ الله ، وبما جاءَ عنْ رسُولِ الله ، علَى مُرادِ رسُولِ الله ".

قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى : ١١]. فأوّل الآية ردٌّ على المشبّهة ، وآخرها ردٌّ على المعطلة ، وسبيل الحق بينهمـا لأهل السُّنّة : إثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل .

ما معنى : أشهد أن محمدًا رسول الله ؟.

إنَّ شَهادَة لا إله إلا الله، لا تَتِمُّ ولا تكْملُ ولا تَنْفَـعُ إلا بالشَّـهادَةِ الثَّانيـةِ وهي: أن محمدًا رسولُ الله ، وإذا علمنا أنَّ اللهَ هو المُسْتَحقُّ للعبادَةِ دُونَ سواه،

فكيْفَ نَعْبُدُه ؟.

إنَّ العَقْلَ لا يُمْكِنُ أبدًا أن يستَقِلَّ بمَعْرِفَةِ العبَادَةِ كمًّا وكيْفًا ، ولابُـدَّ مِـنْ وَاسطَةٍ بيْنَ اللهِ وعبادهِ في تبْليغهم مُرادَ الله منْهم وتعْليمهم كيْفَ يعْبُدُونه، وهـذه الواسِطَةُ هي المُرْسلون الَّذين ختمهم اللهُ بمحمَّد ﷺ ، وجعلَ طاعتَهُ منْ طاعتـه فقال : ﴿ **مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء : ٨٠]، وجعل اتِّباعَهُ عُنْوانَ محبَّته ، فقال : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّــهُ وَيَغْفِـرْ لَكُـمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [آل عمران : ٣١].

فلا سبيلَ للوصُولِ إلى اللهِ إلاَّ عن طريقِ محمَّدٍ رسولِ الله ﷺ ، ولا سبيلَ لمعْرِفَةِ كيْفَ يُعبَدُ اللهُ إلا عن طريقِ مُحَمَّدٍ رسُولِ الله ﷺ ، وهذا هو معنى أشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قـال : « **كُـلُّ أُمَّتِـي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أبى . قيلَ : وَمَنْ يَأْبَى يَارسُولَ الله ؟ قالَ : مَنْ أطَـاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أبى** » [1]

وعن الإمام الجُنَيْدِ قال : الطُّرقُ كلُّها مسْدودةٌ إلاَّ طريقَ مَنِ اقْتفَـى أثَـرَ النبيِّ ﷺ ، فإنَّ اللهَ عزَّوجلَّ قال له : **وعزّتي وجلالي ! لَوْ أتَـوْني مِـنْ كـلِّ طريق، واسْتَفْتَحُوا منْ كلِّ بابٍ ، ما فتَحْتُ لهم حتَّى يدْخُلوا خلفك .»** [2]

* * *

---

1 - خ (١٣/٢٤٩/٧٢٨٠) .

2 - طريق الهجرتين : ص ٧ .

مظاهر الشرك في التوحيد

قلنا أنَّ التوحيد ثلاثةُ أقسام : توحيدُ الربوبيّة، وتوحيدُ الألوهيَّة، وتوحيـدُ الأسماءِ والصفاتِ، وقلنا أنَّ توحيدَ الألوهيّة هو التوحيدُ الذي من أجله خلـق اللهُ الخلق، وبه بعث رسلهُ وأنزل كتبَه، ومعناهُ إفرادُ للهِ بالعبادةِ، حتى لا يُعبد غيره، ولا يُعبد معهُ غيرُه. فما هي العبادة ؟.

العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبّه اللهُ ويرضاه من الأعمالِ والأقوالِ الظَّاهرةِ والباطنةِ ، والمرادُ بالظاهرةِ أعمالُ الجوارحِ ، والمرادُ بالباطنةِ أعمالُ القلوب. ومِنْ أعْمالِ القلُوب: الإيمانُ، الإخلاص، الإحسان، المحبةُ، الإنابــة، الرغبــة، الرهبة، الخشية، الخوف، الرجاء، التوكل، كلُّ هذه الأعمال من أعمالِ القلــوب عبادةٌ يجبُ أن تصرف إلى الله تعالى وحده.

ومن أعمال الجوارح الظاهرة : الصلاةُ، الصومُ، الطوافُ، الذبح، النذر، تقبيلُ الحجَرِ الأسْوَد، واستِلامُ الركنِ اليمانيِّ من البيْتِ العتيق، وكلُّ هذه الأعمال أيضًا عبادةٌ لا يجوزُ صرفُها لغير الله .

كما أنَّ من عبادةِ القولِ : الأمرَ بالمعروفِ والنَّهْيَ عن المنكر، والـدُّعاء، والاستغاثة، وكلُّ هذه الأعمال أيضًا عبادةٌ يجب أن تصرفَ إلى الله وحده.

هذا على وجه الإجمال والإيجاز، فإذا أردنا التفصيل، لنضعَ الحقائقَ أمام المُسلم حتى لا تزلَّ به قدمٌ فيهوى في الشِّرْك مِنْ حيثُ لا يدري أو مــن حيــثُ يدري، فإنَّ الشِّركَ أخفى على النّاس من دبيبِ النَّمْلِ علــى الصَّــفا. إذا أردنــا التفصيل نقول وبالله التوفيق :

إنَّ منْ عبادةِ القلبِ الإيمانَ، والإيمانُ هو التصديقُ بوجـود الله سـبحانه، وأنَّه ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكَهُ ، وأنَّه الإلهُ الحقُّ الذي يستحقُّ العبـادةَ دونَ سـواهْ ومن لوازم هذا الإيمانِ الإيمانُ بكلِّ ما أمرَ اللهُ بالإيمانِ به، كالإيمانِ بالملائكة، والنّبيِّين، والكتُبِ المَنزَّلَة على المرسلين، والإيمانِ باليوْمِ الآخر، وبالقدَرِ خيـره وشرِّه ، قال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّـذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ١٣٦]، فأيُّما رجـلٍ أقـرَّ بربوبيَّة غيْرِ الله ، أو اعتَقَد أنَّ غيرَ الله يستحقُّ العبادةَ، فقد كفر، وأيُّمـا رجـلٍ كفَر بشيءٍ ممَّا أمر اللهُ بالإيمانِ به فقد كفر.

ومن عبادة القلب المحبَّة، المحبَّةُ منْ أعْمالِ القلوب ، عبادةٌ تعبَّدنا اللهُ بها، فالواجبُ على كل مسلمٍ أن يُقبلَ بكلِّيته على الله سبحانه، حتى يكونَ اللهُ عزّ وجلَ هو الحبيبَ الذي يسْكنُ حبُّه القلْبَ، فيُقدّم محبَّته على محبَّةِ مَنْ سواه، ويحبُّ لله كلَّ ما يحبُّه اللهُ من العقائدِ والأقْوالِ والأعمالِ الصَّالحة، كما يُحبُّ للهِ مَنْ يحبُّـه اللهُ من الصالحين.

ولمَّا كان الإنسانُ مفطورًا على حُبِّ الـذَّات، وحُـبِّ الآبـاءِ والأبنـاء، والأزواجِ والأموال، والأوْطان، فإنّ معْنَى حبِّك لله أن يكونَ اللهُ أحبَّ إليكَ مـن كلِّ ما سواه، بحيثُ تُؤثرُ رضا الله على رضا مَنْ سواه، قال تعالى : ﴿ **قُـلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَـادٍ فِـي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لايَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة:٢٤]. ولقد عاب اللهُ على أقْوامٍ أحبُّوا غيرَ الله كحبِّهم لله، فقال تعالى : ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** ﴾ [البقـرة : ١٦٥]. فإذا كان اللهُ

عابَ على من سوَّى محبَّةَ غيْرِه بمحبَّتِه فكيْفَ بمَنْ كانَ حبُّه لغَيْرِ اللهِ أعْظَمَ من حبِّه لله .

ومن عبادة القلْبِ الإنابةُ ، وهي الإقبالُ على الله تعالى، والتوبــةُ إليــه، والإنابة عبادةٌ قد أمر الله بها عبادَهُ؛ فقال : ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَـهُ** ﴾ [الزمر : ٥٤]. وأخبر أنه يهْدِي إليه مَنْ أناب، وأمر باتِّباع سبيلِ مَنْ أنابَ إليــه، فقال تعالى : ﴿ **وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ** ﴾ [لقمان : ١٥].

ومن المعلوم أنَّ غيرَ الله لا يملِكُ لنفْسه ضرًّا ولا نفْعًا ، ولا موْتًا ولا حياةً ولا نُشورًا، وإذا كان كذلكَ فكيْفَ يُنيبُ المسلمُ إلى غيْرِ الله يرْجُوه أن يحقِّقَ لــه ما لا يقدرُ على تحقيقه لنفسه . ومِنْ هنا كانَ من أنابَ إلى غيْرِ اللهِ راجيًا الخيرَ منه، أو خائفًا مِنْ سخَطِه أوْ عقابِه فقد أشْرَك .

ومن عبادة القلْبِ التوكُّل : وهو الاستسلامِ لله، وتفــويضُ الأمْــرِ إليــه، اعتمادًا ووثوقًا به، وقد أمرَ الله عبادَه بالتوكُّلِ علَيْه، فقال تعالى : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾ [الأحــزاب : ٣]، وقــال : ﴿ **وَعَلَــى اللَّــهِ فَلْيَتَوَكَّــلْ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [إبراهيم: ١١]، وقال : ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنــتُمْ مُــؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٣]، ذلك لأنَّ اللهَ وحْدَه هو القادرُ على أن يَكْفِيَ مَنْ يتوكَّلُ علَيْه جميــعَ شئُونه ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** ﴾ [الزمر : ٣٦]، وقــد تكفَّــل ســبحانه بكفايَــة المتوكلين عليه، فقال: ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق : ٣]. فليَكُنْ توكُّلك أيُّها المسلم على الله، فاللهُ وحْدَه القادرُ أن يَكْفِيَــكَ شُــئوونك، ويَقْضِــيَ حَوائجَك، ويُعْطِيَك مسألتَك. ومَنْ توكَّل على غَيْرِ الله، اعتِمادًا عليه، وثقةً بــه، فقد أشْرَك.

ومن عبادة القلب الخشيةُ والخوفُ : وقد أمر اللهُ بخَشْيَته، ونهَى عَنْ خَشْيَةِ غيْره، فقال : ﴿ **فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ** ﴾ [المائدة : ٤٤]. كما أمر بــالخَوْفِ

منه ونهى عَنْ خَوْفِ غيْرِه ، فقــال : ﴿ فَــلا تَخَــافُوهُمْ وَخَــافُونِ إِنْ كُنْــتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥]. فالواجــبُ علــى المســلم أن لا يخــافَ إلا الله، ولايخْشَى غيْرَه، وقد وعد اللهُ أهْلَ خَشْيَتِه بالمغْفِرةِ والفَوْزِ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّــذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك : ١٢]، وقــال : ﴿ وَمَــنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥٢]. فمــن خافَ غيرَ الله ، أو خشيَه مُعظِّمًا له مُستكينًا ، يذلّ له ويُطيعُه في معْصــيَةِ الله، وهو غيْرُ مُكْرَهٍ على تِلْكَ الطَّاعة فقَدْ أشْرَك.

ومن عبادة القلب الرَّجاءُ والرَّغْبَةُ : والرَّجاءُ هو الأمَلُ في الخَيْر، وترقُّبُ حُصولِه، وانتظارُه ممَّن يَمْلِكُه ويقْدرُ على تحقيقه. والرَّغبةُ حُبُّ الخَيْرِ وإرادَتُه، والطَّمعُ في تَحْصيلِه ممَّنْ يملُكه ويقْدرُ على إعْطائه وهبَته. فهي مثْلُ الرّجــاء، وكلاهما مما تعبّدنا اللهُ به، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّــهِ فَلْيَعْمَــلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠]، وقال عن زكريــا وأهله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَــا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء : ٩٠]، وأمر رسولَه محمَّدًا ﷺ بالرَّغْبَةِ إليه فقال : ﴿ فَــإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ[٧] وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح : ٧،٨]. ولما كان الخيْرُ كلّه بيدِ الله ، وليس بيدِ أحدٍ سواهُ ، وكان اللهُ وحدَهُ القادرَ على إعطائه من يشــاءُ مِــنْ عباده، كان رجاءُ الخيْرِ ورغبتُه من غيْرِ الله شرْكًا بالله عزَّ وجل.

أما أعمْالُ الجوارحِ الظَّاهرة : فمنْها الصَّلاةُ ، وأهــمّ أركانهــا الرُكُــوعُ والسُجودُ، لا تصحُ صلاةُ رجلٍ تركَ الرُكُوعَ أو السجودَ ، وقد أمر اللهُ المؤمنينَ بهما فقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧]، وأمر بهما مرْيمَ عليها السَّلام ، فقال : ﴿ يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

فالرُكوعُ عبادَةٌ لايجوزُ صَرْفُها لغيْرِ الله ، والسُّـجودُ عبـادةٌ لا يجـوزَ صَرْفُها لغيْرِ الله ، فَمنِ انْحنَى لأحدٍ أو سجدَ له فقد أشرك بالله .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله : الرَّجلُ منَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي له ؟ قَالَ : « **لاَ** » . قَالَ : أفيَلْتَزِمُهُ ويُقَبِّلُه ؟ قَالَ: «**لاَ**» قَالَ : فَيَأْخُذُ بِيَدِه ويُصَافِحُه ؟ قَالَ : « **نعم** » (١) .

ولمَّا قَدِمَ معاذُ بنُ جبلٍ منَ الشَّام سَجَد للنبيِّ ﷺ ، فقال ﷺ : « **مَا هَـذَا يَا مُعَاذُ** ؟ » قَالَ : أَتَيْتُ الشَّامَ فَوافَيْتُهم يسْجُدونَ لأسَاقفتَهم وبَطارقَتهم ، فـودَدْتُ في نَفْسِي أنْ نَفْعلَ ذلكَ بك. فقالَ رسُولُ الله ﷺ : « **فَلاَ تَفْعَلُوا ، فَإِنِّي لَوْ كُنْـتَ آمِرًا أحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لغَيْرِ الله، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا** » (٢). فمَنْ ركعَ أوْ سجَد لغَيْرِ اللهِ فقد أشرك.

ومنْ أعمَالِ الجوارح : الطَّوافُ بِبَيْتِ الله الحَرام ، إنّ اللهَ تعبَّدنا بالطَّوافِ حَوْلَ بيْته ، فقال : ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾[الحج : ٢٩]. كما تعبّدنا باسْتِلامِ الرُكنَيْن اليمانيّيْن ، وتَقْبيلِ الحجَرِ الأسْودِ ، فلا يجوزُ لمسلمٍ أن يطوفَ بأيِّ بناءٍ، أو أنْ يتمسَّح بأيِّ جدارٍ، أو يقبّل حجرًا غيْرَ الحجَرِ الأسْـودِ، فالـذي يطـوفُ بالقُبورِ والقِبابِ، ويقبّل العتبات، ويتمسحُ بالجُدْرانِ والحديدِ المنصـوبِ حَـوْلَ الضَّريحِ فقد أشركَ .

ومن أعمَال الجوارح الذَّبْحُ ، الذَّبْحُ عبادةٌ أمرنَا اللهُ بها فقـال : ﴿ **فَصَـلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾[الكوثر:٢]. وقال: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**(١٦٢)**لاشَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

---

1 - حسن : [ص.ت : ٢٧٢٨] ، ت (٤/١٧٢/٢٨٧١) ، جه (٣٧٠٢ /٢/١٢٢٠) .

2 - حسن صحيح : [ص. جه : ١٥٠٣] ، جه (١/٥٩٥/١٨٥٣) .

ومن الذَّبائح المشْروعَةِ : الهَدْيُ ، والأضَاحي، والعَقيقَة، والوليمةُ، فــلا يجــوزُ الذبحُ لغيْرِ الله، فَقد لعَن رسُولُ الله ﷺ مَنْ ذبحَ لغيْرِ الله، ومِنَ الــذَّبائح الْغَيْــر مشْرُوعةِ : الذَّبْحُ عند بناءِ بيتٍ ، أو امتلاكِ سيارةٍ ، اتقَّاءَ الجنّ والعيْن، كثيــرٌ من المسلمين إذا منَّ الله عليهم ببيتٍ أو سيارةٍ أو غيْرِ ذلك مــن الــنِّعم ذَبَحُــوا الذبَّائح، لا شُكْرًا لله وتقرُّبًا إلَيْه، وإنَّما اتقاءَ الجنّ ، وخوفًا من العين، ولذا ترى أحدَهم إذا ذبحَ يذْبَحُ على عَتبةِ البَيْتِ أوْ مُقدّمةِ السَّيارة، ويلطّخُ البيْتَ بالــدِّماء ، ممَّا يشْهَدُ على أنَّه ذبحَ لغَيْرِ الله. ومَنْ ذبحَ لغيْرِ الله فقد أشْركَ .

ومن أعْمالِ الجَوارح النَّذْرُ : وهو التزامُ العَبْدِ مالَمْ يلْزَمْه مِنَ الطَّاعــاتِ، أو هو التعهُّدُ بالقيامِ بشيءٍ من العبادات تقرُّبًا إلى الله تعالى، أو بشَرْطِ أنْ يقْضيَ اللهُ تعالى له حاجةً . والنذرُ مما تعبّدَ اللهُ تعالى به عباده، وقد أثْنى على المُوفينَ به فقال: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** ﴾ [الإنســان:٧]. وقال مرغِّبًا فيه: ﴿ **وَمَا أَنفَقْتُمْ مِــنْ نَفَقَــةٍ أَوْ نَــذَرْتُمْ مِــنْ نَــذْرٍ فَــإِنَّ اللَّــهَ يَعْلَمُهُ** ﴾ [البقرة:٢٤٠]. وبناءً على هذا فإنَّ مَنْ نذَرَ لغيْــرِ اللهِ مِــن الأحيــاء أو الأموات فقد أشرك.

ومن العبادات القَوْلية : الدُّعاءُ ، الدُّعاءُ عبادةٌ أمرَ اللهُ بها المؤمنين، فقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَــنْ عِبَــادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[غــافر :٦٠] . وقالَ رَسُولُ الله ﷺ :« **الــدُّعاءُ هــو العبادة**»(١)، وإنَّما كانَ الدُّعاءُ عبادةً لأنّ فيه ذلّةً وانْكسارًا وافْتقارًا ، وهذه هــي حقيقة العبادة. فلا يجوزُ لمسلمٍ أنْ يدْعُوَ غيْرَ الله ، أو يستَغيثَ به ، ومِنَ العجيبِ أن تسْمَعَ بعْضَ المسلمين يدْعُو ويُنَادِي غائبًا، حيًّا كان هــذا الغائــبَ أو ميِّتًــا،

---

1 – صحيح: [ص.ت : ٢٩٦٩]، ت (٤٠٤٩/٢٧٩/٤)، د (١٤٦٦/٣٥٢/٤)، جه(٣٨٢٨/١٢٥٨/٢).

يدْعوه، ويُناديه، ويَسْتَغيثُ به، ويسْألُهُ أنْ يُفرِّجَ كرْبَه، وهذا كلّه شرْكٌ بالله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ(٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥، ٦].

ومن العبادات القَوْليَّة الحَلفُ ، والحَلفُ لا يجوزُ إلا بالله أو باسْمٍ من أسْمائه أو صفةٍ من صفَاته ، ولا يجوزُ بالشَّرف ولا بالآباء والأبناء، وقد قال ﷺ: « مَنْ حَلفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » [1] .

* * *

1 - صحيح : [ص.ت : ١٥٣٥] ، ت (٣/٤٥/١٥٧٤) .

الركن الثاني : الصلاة

إنَّ للصَّلاةِ في الإسلامِ منْزِلةً لا تعْدِلُها منْزِلةُ أيَّةِ عبادةٍ أُخرى، فهي عمودُ الدّين ، كما جاء في الحديث عن النبيِّ ﷺ : « **رَأْسُ الأَمْرِ الإسْلامُ، وعَمُـودُه الصَّلاةُ، وذرْوَةُ سَنَامِه الجِهَادُ** » [1]. وهي أوَّلُ ما فرضَ اللهُ تعالى منَ العبَادات، فرَضَها بمُخَاطبةِ رسُوله ﷺ منْ غيْرِ واسطةٍ، ليلةَ المعراجِ وكانت خمْسين ، فما زالَ رسُولُ اللهِ ﷺ يسألُ ربَّهَ التَّخْفيفَ، حتَّى قال تعالى : ﴿ **مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [ق : ٢٩] هي خَمْسٌ في العَملِ وخَمْسُونَ في الأجْرِ والثَّواب » [2].

وهي أوَّلُ ما يُحاسَبُ عَليْه العبْدُ يوْمَ القيامةِ، فإنْ صلَحَتْ فَقدْ أفْلَحَ وأنْجحَ، وإنْ فسَدتْ فَقدْ خابَ وخَسِرَ، كما جاءَ في الحديثِ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ [3].

وهي آخِرُ وصيَّةٍ وصَّى بها رسُولُ اللهِ ﷺ، وهو في مرَضِ موْتِه جعلَ يقُولُ : « **الصَّلاةَ الصَّلاةَ ، ومَا ملَكَتْ أيْمانُكُم** » [4].

وقد أمرَ اللهُ تعالى بالمُحافَظةِ عَليْها ، فقال : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

---

1 – صحيح : [ص.ت : ٢٦١٦] ، ت (٤/١٢٤/٢٧٤٩)، جه (٢/١٣١٤/٣٩٧٣).

2 – هذا معنى حديث رواه الترمذي هكذا مختصرًا (١/١٣٧/٢١٣)، ورواه مطولاً : خ(٦/٣٠٢/٣٢٠٧)، م(١/١٤٥/١٦٢)، نس(١/٢١٧).

3 – صحيح : [ص.ت : ٤١١] ، ت (١/٢٥٨/٤١١)، نس (١/٢٣٢) .

4 – صحيح : [ص.جه : ١٣١٧] ، جه (١/٥١٩/١٦٢٥) .

ومدحَ اللهُ الَّذين هُمْ على صلواتهم يُحافظُون، ووعَدَهم الفِرْدَوْسَ، أعلَى دَرجات الجنَّة، فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ(٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ(٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ(٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ(٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ(٩) أُوْلَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ(١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١- ١١]

وكما مدَح الَّذين هم على صلَواتهم يُحافظون ، ذمّ الَّذين هم عَنْ صلاَتهم ساهون ، فقال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون : ٤، ٥] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ(٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ(٤٠) عَنْ الْمُجْرِمِينَ(٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ(٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ(٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر:٣٨- ٤٨].

ولقد أمر اللهُ تعالى بالصَّلاة في الحضَر والسَّفر، والخَوْف والأمْن، فقال تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ(٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢٣٨، ٢٣٩].

وقال تعالى مبيّنًا صفة الصلاة في الخوف : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمْ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ

وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِـدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢] .

ولقد بلغَ منْ عنَايةِ الإسْلامِ بالصَّلاةِ أنْ رخَّص فيها مـــالَمْ يُــرَخِّص فـــي غيْرها ، حتى لا يَبْــقَى عُذْرٌ لمُعْتذرٍ، يعْتَذرُ به عن عَدم إقَامتها ، فرخّص لمَنْ فقَد الماءَ أوْ عجزَ عَنِ استِعْماله أن يتيمَّم ، كما رخّص لمَنْ فقدَ الماءَ والتُّرابَ أن يَصلِّيَ على حسَبِ حالِه منْ غيْرِ وضُوءٍ ولا تَيمّم، قال تعالى : ﴿ **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا** ﴾ [النساء : ٤٣] ، ورخّص لمَنْ عجزَ عن القيامِ في الصَّلاةِ أن يُصــلِّي قاعدًا، فإنْ عجَز عَنِ القُعود صلَّى علَى جنْب. كما جاءَ عن عمْرانَ بنِ حُصَــيْنٍ أنَّه كانَتْ بهِ بَواسيرٌ، فسألَ رَسُولَ الله ﷺ كَيْفَ يُصلّي ؟ فقال : « **صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ** » [(١)].

وهذه الرُّخصُ يجبُ علَى المسلمين أن يَتعلَّموها ويُعلّموها، فإنَّ كثيرًا من المرْضى، إذا نَامُوا في فراشِ المرضِ ترَكُوا الصَّلاة، مُعْتَذرينَ بأنَّهم لا يَقْدرُونَ على الطَّهارة، لا يقْدرُونَ على القيام، لايقْدرُون على استقْبالِ القبْلة، ونَحْوِ ذلــك منَ الأعذار، ولهؤلاء نقول: تعلّموا هذه الرُّخَصَ التي ذَكرْناها، واعْلَمُــوا أنَّــهُ ﴿**لايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقد قال تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن : ١٦]. وقال النبيُّ ﷺ :«**مَا أَمَرْتُكُمْ بِــأَمْرٍ فَــأْتُوا مِنْــهُ مَــا اسْتَطَعْتُم**»[(٢)].

فـ ﴿ **حَــافِظُوا عَلَــى الصَّــلَوَاتِ وَالصَّــلاةِ الْوُسْــطَى وَقُومُــوا لِلَّــهِ**

1 – خ (٢/٥٨٧/١١١٧)، د (٣/٢٣٣/٩٣٩)، ت (١/٢٣١/٣٦٩)، جه(١/٣٨٦/١٢٢٣).

2 – م (٢/٩٧٥/١٣٣٧)، نس (٥/١١٠).

قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨].

واعلَمُوا أَنَّ الله تَعالى ما فرضَ عليْكم الصَّلاَة إلاَّ لِمَا لكُمْ فيها مِنَ الخَيْر:

فالصَّلاَةُ تَنْهى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكر، كما صرَّح بذلكَ القُرْآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ **وَأَقِمْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾[العنكبوت:٤٥].

والصَّلاةُ تُطَهّرُ المُصَلِّي من الأخلاق الدَّنيئة، والصِّفاتِ القَبيحة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ(٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ** ﴾ [المعارج:١٩-٢٣]

والصَّلاةُ تُعينُ على أُمورِ الدِّين والدُّنْيَا، قال تعالى : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ** ﴾ [البقرة :٤٥]. وقال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ**﴾ [البقرة : ١٥٣].

والصَّلاةُ صِلَةٌ بيْنَ المُصلِّي وربِّه، يُناجي اللهَ ويناجيه اللهُ ، كما جاء في الحديث عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّ اللهَ عزّ وجَلَّ قالَ : « **قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ : الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قَالَ اللهُ : حَمِدَنِي عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَالَ اللهُ : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ الله : مَجّدَنِي عَبْدِي. أَوْ قَالَ مرَّةً : فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. قَالَ اللهُ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ قَالَ اللهُ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ** » (١).

---

1 - م (١/٢٩٦/٣٩٥)، د(٣/٣٨/٨٠٦)، ت (٤/٢٦٩/٤٠٢٧)، نس (٢/١٣٥).

فأيُّ شَرَفٍ لكَ أيُّها المُسْلِم بعْدَ هذَا الشَّرف، وأيُّ فَخْرٍ بعْدَ هذا الفَخْر ! أنْ تقومَ بيْنَ يَدِي المَلك الكبيرِ المُتَعال، تُناجيه ويُنَاجيك، هُوَ سُبْحانَه فَوْقَ عَرْشِـــه، كَما أخْبَر عَنْ نَفْسه [١]، وأنْتَ قائمٌ في مِحْرَابك، تسألهُ فيُعطيكَ، وتَدْعُوه فيُجيبك.

فحَافظْ يا عبْدَ الله على الصَّلاة، فإنَّها خَيْرُ أعْمالك، واعْلَمْ أنَّ الصَّلاةَ تمْحُو الذُّنوبَ والخَطايا كما يمْحُو المَاءُ وسَخَ الثَّوْبِ والبدَن، كما جاء في الحديث عـــن النبيِّ ﷺ أنه قال : « **الصَّلَواتُ الخَمْسُ ، والجُمُعَةُ إلَى الجُمُعَةِ ، ورَمَضَانُ إلَى رَمضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لمَا بَيْنَهُنَّ إذَا اجْتُنبَت الكَبائرُ** » [٢].

وقال ﷺ : « **أرَأَيْتُمْ لَوْ أنَّ نَهْرًا ببَاب أَحَدكُمْ يَغْتَسلُ فيه كُلَّ يَوْمٍ خَمْـسَ مَرَّاتٍ ، مَا تَقُولُونَ ذَلكَ يُبْقِي منْ دَرَنه؟ قَالُوا : لاَ يُبْقى منْ دَرَنه شَيْئًا. قَـالَ : فَذَلكَ مَثَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بهَا الخَطَايا** » [٣].

على مَنْ تجبُ الصَّلاة ؟

تجبُ الصَّلاة على كلِّ مسلمٍ، بالغٍ ، عاقلٍ . ويجبُ على أولياء الأمور أنْ يأمروا بها صبيانَهم، وإن كانَتْ غيرَ واجبةٍ عليهم، ليتعوَّدوا المحافظةَ عليهـا، لقوله ﷺ : « **مُرُوا أوْلادَكُم بالصَّلاة وهُمْ أبْنَاءُ سَبْعِ سِنينَ، واضْربُوهُمْ عَلَيْهَـا وَهُمْ أبْنَاءُ عَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بيْنَهُمْ في المَضَاجعِ** » [٤].

1 – في سبع سور : الأعراف ٥٤، يونس ٣، طه ٥، الفرقان ٥٩، السجدة ٤، الحديد ٤، الرعـد ٢، فالواجب الإيمان بما أخبر الله عن نفسه من غير تحريف ولا تكييف، ولا تعطيل ولا تمثيل، كما قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١] .

2 – م (١/٢٠٩/١٦/٢٣٣) .

3 – متفق عليه : خ (٢/١١/٥٢٨)، م (١/٤٦٢/٦٦٧)، ت (٤/٢٢٨/٣٠٢٨)، نس (١/٢٣١).

4 – حسن صحيح : [ص. د : ٤٦٦] ، د (٢/١٦٢/٤٩١) .

حكم تارك الصلاة :

قال ﷺ : « **العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ** »[١].

وقال ﷺ : « **إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ** » [٢].

حمل نفرٌ من العلماءِ الكفرَ المذكورَ في الحديثيْنِ على أنّه الكفـرُ الأكبـرُ المُخْرِجُ عن الملة، وقالوا : منْ ترك الصلاة فقد كفر، وخرجَ عن الإسلام، إذا مات على ذلك عُومل مُعامَلَة الكافرِ الأصليّ، فلا يُغسّل، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفَنُ في مقابرِ المسلمين، ولا يرثُه المسلمون .

والأرْجَحَ ما ذهبَ إليه جُمْهورُ العلماء : أنّه يفرّق بيْن الجاحدِ والمتُهَاون، فالجاحدُ لفرْضيَةِ الصَّلاةِ كافرٌ بإجْماع المسلمين، وأمَّا المُتَهاوِنُ بها، وهو يعتقـدُ بفَرْضيَّتها، ويُقِرُّ بتَقْصيرِه وذَنْبه فهذا يُسمّى كافرًا، كما سمّاه النبيُّ ﷺ ، ولكـنْ كفرٌ أصغرُ لا يُخْرِجُه عن الملّة، جمْعًا بين هذه الأحاديث وأحاديثَ أخر، منها:

عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامتِ رضيَ اللهُ عنْه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : « **خَمْسُ صَلَوات كَتَبُهنَّ اللهُ عَلى العبَاد، مَنْ أَتَى بِهنَّ لَمْ يُضيِّعْ مِـنْهُنّ شَـيْئًا، اسْتخْفَافًا بِحَقِّهنَّ كَانَ لَهُ عنْدَ الله عَهْدٌ أنْ يُدْخلَهُ الجَنَّة، ومَنْ لَمْ يَأْتِ بِهنَّ فَلَيْسَ لَهُ عنْدَ الله عَهْدٌ، إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإنْ شَاءَ غفَرَ لَهُ** » [٣].

فلمَّا ردّ رسولُ الله ﷺ أمرَ منْ لم يأتِ بهنّ إلـى مشـيئة الله، عَلِمْنـا أنَّ تَرْكَهُنَّ دُونِ الكُفْرِ والشِّرْك، لأنَّ اللهَ قال : ﴿ **إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِـهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ٤٨].

---

1 - صحيح : [ص. جه: ٨٨٤] ، جه (١/٣٤٢/١٠٧٩)، ت (٤/١٢٥/٢٧٥٦)، نس (١/٢٣١).

2 - م (١/٨٨/٨٢)، وهذا لفظه، د(١٢/٤٣٦/٤٦٥٣)، ت (٤/١٢٥/٢٧٥١)، جه (١/٣٤٢/١٠٧٨).

3 - صـحيح: [ص. جـه: ١١٥٠]، مـا (٩٠/٢٦٦)، أ (٢/٢٣٤/٨٢)، د (٢/٩٣/٤٢١)، جـه (١/١٩٩/١٤٠١)، نس (١/٢٣٠).

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُــولَ اللهِ ﷺ يقُــولُ : «إنَّ أوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِه العَبْدُ المُسْلِمُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصَّلاةُ المَكْتُوبَةُ، فَإنْ أتمَّهــا وإلاَّ قِيلَ : انْظُرُوا : هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإنْ كَانَ لَهُ تَطوُّعٌ أُكْمِلَتِ الفَرِيضَةُ مِــنْ تَطَوُّعِه، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الأَعْمَالِ المَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ » [١].

فلمَّا كان النَّقْصُ فِي الفرائضِ يُكمَّلُ منَ النَّوافلِ، دلَّ على أنَّ التَّرْكَ مــع الاعتقاد ليسَ كفرًا أكبر، لأنَّ الكافرَ لا يُقْبَلُ منْه عملٌ.

وعَنْ حُذَيْفَةَ بنِ اليمَانِ قالَ : قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : « يَدرُسُ الإسلامُ كمَــا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لاَ يُدْرَى مَا صِيَامٌ ولاَ صَــلاةٌ ولاَ نُسُــكٌ ولاَ صَــدَقةٌ، ولَيُسْرَى علَى كِتَابِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلاَ يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيةٌ، وتَبْقَى طَوائِفُ مِنَ النَّاسِ، الشَّيْخُ الكَبِيرُ والعَجُوزُ ، يَقُولُونَ : أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا علَى هَــذِه الكَلِمَةِ : لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا » . فقَالَ لَه صِلَةٌ : مَا تُغْنِي عَنْهُم لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ مَا صَلاَةٌ وَلاَ صِيَامٌ وَلاَ نُسُكٌ وَلاَ صَدَقَةٌ ؟ فَــأَعْرَضَ عَنْــهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلاثًا. كلُّ ذلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْــهِ الثَّالِثَــةَ فَقَالَ: يَا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ. ثَلاثًا » [٢].

ولعلَّ هؤلاءِ هُمُ المُرَادُونَ في قَوْلِ النبيِّ ﷺ في حديث الشَّفَاعَة : « ثُــمَّ أَرْجِعُ إلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِد ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَــاجِدًا، فَيُقَــالُ لِي: يَا مُحمَّدُ ! ارفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ! ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ. ولَكِنْ وَعِزَّتِي

---

1 – صحيح : [ص. جه: ١١٧٢] ، جه (١/٤٥٨/١٤٢٥).
2 – صحيح : [ص. جه : ٣٢٧٣] ، جه (١/١٣٤٤/٤٠٤٩) .

وَكِبْرِيَائي وَعَظمَتِي وَجِبْرِيَائي، لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ » [١].

ولكنْ معَ قَوْلنا بأنَّ المُتَهاوِنَ بالصَّلاَةِ لا يَخْرُجُ عَنِ الإسْلام، إلاَّ أنَّه حسْبُهُ أنْ يُسمَّى كافِرًا، وكفَى بهذهِ التَّسْمِيَةِ زاجرًا، فعلَى المُتَهاوِنِ بالصَّلاةَ أنْ يُبَادِرَ بالتَّوْبةِ إلى الله ، وأنْ يُحافِظَ على الصَّلاة ، فالموْتُ يأْتي بغْتَة :

وكمْ منْ صحيحٍ ماتَ منْ غيْرِ علَّةٍ وكمْ منْ عليلٍ عاشَ حينًا منَ الدَّهرِ

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[فاطر:٥].

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لايَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦].

* * *

1 - م (١٩٣- ٣٢٦/-١٨٢/١) .

صِفةُ الوضوء والتيمُّم، وصِفةُ الصَّلاةِ، ووجوبُ الجَماعَة

إنّما نتحدثُ عن ذلكَ لأنَّ كثيرًا من المسلمينَ أخذَ هذه العباداتِ عن طريقِ النَّظرِ في أفعالِ النَّاس، من غَيْرِ فقْهٍ ولا عِلْمٍ، ولا نَظرٍ في أفعْالِ رسُولِ اللهِ ﷺ.

والواجبُ على كلّ مسلمٍ أن يكونَ على بصيرةٍ من دينه، أن يكونَ على بيِّنةٍ من أمرْه، أن يكونَ على هُدىً ونُورٍ في كُلِّ فعْلٍ يفعْلُه، وفي كُلِّ أمْرٍ يأتيه، فهذهِ هِيَ صفَةُ أتْباعِ النبيِّ ﷺ كما قالَ تعالى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي** ﴾ [يوسف :١٠٨].

وهَذهِ صِفَةُ الوُضُوءِ كما صحَّ بذلكَ الحديثُ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ :

عَنْ حُمْرانَ مَوْلَى عُثْمَانَ : « أنَّ عُثْمانَ بنَ عفَّانَ رضيَ اللهُ عنْهُ دعَا بوَضُوءٍ فَتَوضَّأ : فغَسلَ كفَّيْه ثَلاثَ مرَّاتٍ ، ثُمَّ مَضْمَضَ واسْتَنْثَر، ثُمَّ غسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثَ مرَّاتٍ ، ثُمَّ غَسلَ يدَهُ الْيُمْنَى إِلَى المرْفَقِ ثَلاثَ مرَّاتٍ ، ثُمَّ غَسلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلكَ، ثُمَّ مَسحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الكَعْبَيْنِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلكَ، ثُمَّ قالَ :

رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَنْ تَوضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذا ، ثُمَّ قامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**» . قال ابنُ شِهَابٍ : وكَانَ عُلَماؤنَا يقُولُونَ : هَذَا الوُضُوءُ أَسْبَغُ ما يَتَوضَّأُ بهِ أحَدٌ للصَّلاَة » [١].

1 - متفق عليه: خ(١٥٩/٢٥٩/١)، م (٢٢٦/٢٠٤/١) وهذا لفظه ، د(١٠٦/١٨٠/١)، نس(٦٤/١).

ويجبُ أن يتقدَّم على هذه الأفعال : النيَّةُ ، لأنَّ النيَّةَ شَـرْطٌ فـي صِـحَّةِ العِبَادات كلِّها ، لقوله ﷺ : « **إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنيَّات** » [1].

والنيّةُ محلُّها القلب، فلا يُشرع التلفُّظُ بها عندَ الوُضوءِ ولا عنْدَ الصَّـلاةِ ولا غيْرِهما.

لا يُشرَعُ أنْ يقُولَ المُتَوضِّيءُ : نويْتُ الوُضوءَ، أو استباحةَ الصَّـلاة، أو نحْوَ ذلك .

إنَّما إذا أرادَ الوُضُوءَ استَحْضرَ النيَّةَ في قلْبه، فالنيَّةُ محلُّها القلب.

ثُمَّ يقولُ : بسْمِ الله، فالتَّسْمِيةُ بيْنَ يديِّ الوُضوءِ شَرْطٌ في صِحَّته ، لقولـه ﷺ : « **لاَصَلاَةَ لِمَنْ لاَ وُضُوءَ لَهُ، وَلاَ وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْه**»[2].

وَيُسَنُّ أنْ يستَاكَ ، لقوله ﷺ : « **لَوْلاَ أنْ أَشُـقَّ علَـى أُمَّتِـي لأَمَـرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ الوُضُوءِ** » [3].

ويُسَنُّ إِذَا فرَغَ أنْ يقُولَ : أشْهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله ، وحْدَهُ لا شَـرِيكَ لـه، وأشْهدُ أنَّ محمَّدًا عبْدُه ورسُوله، فقد جاء في الحديث عن النبـيِّ ﷺ : « **مَـنْ تَوضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ قالَ : أَشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله ، وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْهَدُ أنَّ محمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه، فُتِّحت لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَـدْخُلُ مِـنْ أيِّها شَاءَ** » [4].

---

1 – متفق عليـه : خ (١/٩/١)، م (١٩٠٧/١٥١٥/٣)، د (٢١٨٦/٢٨٣/٦)، ت (١٦٩٨/١٠٠/٣)، جه (٤٢٢٧/١٤١٣/٢)، نس (١/٥٩).

2 – حسن : [ص. جه : ٣٢٠] ، د (١٠١/١٧٤/١)، جه (٣٩٩/١٤٠/١) .

3 – صحيح : [ص. ج : ٥١٩٣] ، أ (١٧١/٢٩٤/١).

4 – م (٢٣٤/٢٠٩/١) .

ويُستَحَبُّ أنْ يزيدَ : « **اللَّهُمَّ اجْعَلْنـــي مـــنَ التَّـــوَّابينَ، واجْعَلْنـــي مـــنَ الْمُتَطهِّرينَ** [١]**، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْـــتَ ، أَسْـــتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ** » [٢].

فإذا كانَ المُتوضِّىءُ لابسًا خُفَّيْه أوْ جَوْربَيه أو نَعْلَيهِ على طهارةٍ فَيُسنُّ له الْمَسْحُ على مافِي رِجْلَيْه، وهذا المَسْحُ سنَّةٌ ثابتةٌ عـــن الرسُـــولِ ﷺ ورُخْصَـــةٌ للمُتوضِّئ :

عَنِ الْمُغيرَةِ بنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ في سَفَرٍ ، فَصَبَّ لَهُ وَضُوءَهُ، حَتَّى إذا غَسلَ النَّبيُّ ﷺ يَدَيْهِ أهْوَى الْمُغيرَةُ لِيَنْزِعَ خُفَّيْهِ فقَـــال ﷺ : « **دَعْهُمَـــا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُما طَاهِرَتَيْنِ** » [٣].

وقَدْ وقَّتَ الرَّسُولُ ﷺ المسْحَ : للمُقيمِ يَوْمٌ وَلَيْلَة، وللمسَـــافِر ثلاَثَـــةُ أيَّـــامٍ بلياليهنَّ [٤]. فإذا نزعَ الرَّجلُ خُفَّيه، أو انتهَت مُدَّةُ المَسْح، وكان علَى طهـــارةٍ، فهو علَى طهارته حتَّى يُحْدِثَ ، فإذا أحْدَث وأرادَ الوُضُوءَ لم يَجُزْ له أن يمْسَـــحَ علَى خُفَّيْهِ حتَّى يغْسِلَ رِجْلَيْهِ ويلْبَسهُما على طهَارةٍ، ثم يستَأنِفَ مُدَّةً جديدة.

صفة التيمم :

فإذا فقدَ الرَّجلُ الماءَ ، أو عجزَ عن استِعْمالِه لمرضٍ ونَحْوِه، فقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿ **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا** ﴾ [النساء : ٤٣] .والتَّيمُّمُ ضَرْبةٌ واحـــدةٌ علـــى الأرض بكفَّيْه ثم يمْسَحُ وجْهَهُ وكفَّيْه، لحديثِ عمَّارِ بنِ ياسرٍ أنه كانَ في سَـــفَرٍ

1 – صحيح : [ص.ت : ٤٨] ، ت (١/٣٨/٥٥) .
2 – صحيح : [ص . تغ : ٢٢٠] ، كم (١/٥٦٤) .
3 – متفق عليه : خ (١/٣٠٩/٢٠٦) مختصرا ، م (١/٢٣٠/٢٧٤) ، د (١/٢٥٦/١٥١) .
4 – م (١/٢٣٢/٢٧٦)، نس (١/٨٤) .

فأجْنَبَ فلَمْ يَجدِ الْمَاءَ، فتَمرَّغَ فِي التُّرابِ ثُمَّ صلَّى، فلمَّا عَادَ أَخْبَر رسُولَ اللهِ ﷺ بفعْله، فقالَ ﷺ : « **إنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أنْ تَفْعَلَ هَكَذَا ، وَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بيَدِه الأَرْضَ ثُمَّ نفَخَ فيهَا، ومَسَحَ وَجْهَهُ وكَفَّيْه** » [١].

ومَن ابتُلي بجُرْحٍ فِي عُضْوٍ مِنْ أعْضَاءِ الوُضوءِ فَلفَّه، أَوْ كَسْرٍ فجبَره، سَقط عنْه غَسْلُ ذلكَ العُضْو، ولا يلْزَمُهُ المَسْحُ عَليْه، ولا التيممُ عنه، لأنَّ الإلزامَ بذلك تَشْريعٌ، ولَمْ يَأْتِ فِي القُرْآنِ ولاَ في السنَّةِ ما يدلُّ على هذا التَّشْريع، وقد قال تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن :١٦]، وقال النبيُّ ﷺ : « **مَاأمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا منْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** » [٢].

صفَةُ الصَّلاة :[٣]

تِلْكَ هي صفَةُ الوُضوءِ والتَّيمُّم كما صحَّت بذلكَ الأحاديثُ عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وهَذهِ هي صفَةُ صَلاةِ النبيِّ ﷺ كما صحَّت بذلكَ الأحاديثُ أيْضًا، على سبيل الإيجاز :

كان ﷺ إذا قامَ إلى الصَّلاةِ استقبلَ القبْلَةَ، ثمَّ رفعَ يديْه وقال : الله أكبر ، ولم يقُلْ نويْتُ أُصلِّي لله تعالى فرْضَ كذا، ولا شيْئًا من ذلك، ثمَّ وضعَ يدَهُ اليُمْنى على اليُسْرَى فوْقَ صَدْرِه ، ورَمى ببصَرِه نحْوَ موْضعِ سجُوده.

وكان ﷺ يسْتَفْتِحُ بدعاءٍ من أدْعيةِ الاستفْتاح، ومنْها قولُه ﷺ : « **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبارَكَ اسْمُكَ، وتَعالَى جَدُّكَ، ولاَ إِلَهَ غَيْرُكَ** » وبِأيِّ دُعاءٍ اسْتَفْتَح المُصلِّي جاز .

---

1 - متفق عليه : خ (١/٤٥٥/٣٤٧)، م (١/٢٨٠/٣٦٨)، د(١/٥١٤/٣١٧)، نس (١/٦٦).

2 - م (٢/٩٧٥/١٣٣٧)، نس (٥/١١٠) .

3 - راجع " صفة صلاة النبي ﷺ " للألباني .

ثُمَّ كانَ يقولُ : أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ من الشيطانِ الــرَّجيم. ثــم يقــرَأُ الفاتحَة ، يرتِّلها ترْتيلاً ، ويُقَطِّعُهَا آيةً آية. فإذا قالَ : ولا الضّالين، قال: آمــين. ثمَّ يقْرَأُ ما تيسَّر له من القُرْآنِ بعْدَ ذلك. ثمَّ يرفعُ يديْه ويُكبّر، ثم يركعُ، وكان إذَا ركعَ بسَط ظَهْرَه ومدَّه واعْتَدل، ولَمْ ينْصِبْ رَأْسَهُ ولَمْ يَخْفضْه. وكــانَ يقُــول : سُبْحانَ ربِّيَ العظيم ثلاثًا، ورُبَّما زاد وبحَمْده. وكان يقول : سبُّوحٌ قــدُّوسٌ ربُّ المَلائكةِ والرُّوح . ويقول : سُبْحانَك اللهمَّ وبحَمْدكَ اللهمَّ اغْفِرْ لي . وغْيَرَ ذَلــكَ من الأذْكار . ثم يرْفَعُ رأْسَهُ قائلاً : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه، فإذا اعْتدلَ قال : ربّنــا ولكَ الحمْد، ورُبَّما زادَ على ذلك : ملْءَ السَّمواتِ وملْءَ الأرْضِ ومَــا بيْنَهُمــا، وملْءَ ما شئْتَ منْ شيءٍ بعْد، أَهْلَ الثَّناءِ والمَجْد، أحقُّ ما قالَ العَبْدُ ، وكلّنا لــكَ عبْدٌ، لا مانعَ لما أعْطَيْتَ، ولا مُعْطِيَ لما مَنعْتَ ولا ينْفَعُ ذا الجدِّ منْــكَ الجــدُّ . وكان يقول : « **لاَ تُجْزِىءُ صلاةٌ لاَ يُقِيمُ فيهَــا الرَّجُــلُ صُــلْبَهُ فــي الرُكُــوعِ والسُّجودِ** » ، ثُمَّ كانَ يُكبّرُ ويخرُّ ساجدًا ، ويَضَعُ يَديْه قبلَ رُكْبَتيْه، وكانَ يقول : « **إذَا سَجدَ أَحدُكُمْ فَلا يَبْرُكْ كمَا يَبْرُكُ الْبعيرُ، ولْيَضَعْ يَديْه قَبْــلَ رُكْبَتَيْــه** » ، وكان يقُولُ في سجُودِه : سُبْحانَ ربِّيَ الأعْلى ، ثلاثًا، ورُبَّما زاد "وبحَمْده" ورُبَّما قال ما ذكرْناه في الركوع. ثم كانَ ﷺ يرْفَعُ رَأْسَهُ مُكبِّرًا، ثُمَّ يجْلِــسُ مُفْتَرِشًــا، يفْرِشُ رجْلَه اليُسْرَى ويجْلِسُ عليها، وينْصِبُ اليُمْنَى، ثمَّ يقول : ربِّ اغْفِرْ لــي، ربِّ اغْفِرْ لي، وربَّما قال : اللهمَّ اغْفِرْ لي وارْحَمْني واجْبُرْني واهْدني وعــافِني وارْزُقْني . ثمَّ يسْجُد السَّجدَة الثانيةَ كالأولى ، ثمَّ يرْفَعُ رأْسَه مُكبِّــرًا، ويجْلِــسُ مُفْتَرِشًا جلسةً خفيفةً، تُسمّى جِلْسةَ الاسْتراحةِ ، ثمَّ ينْهَضُ مُعْتَمِدًا علَــى يَديْــه، فَيفْعلُ في الرَّكْعَةِ الثَّانيةِ ما فعلَ في الأُولى . ثم يجْلِسُ مُفْتَرِشًا ويقْرَأُ التَّشهُّدَ، ثمَّ يُسلّم عنْ يمينه وشِمَاله : السَّلامُ عَليْكم ورحْمَةُ الله ، السَّلاَمُ عليْكُم ورحْمَــةُ الله، وكان أحيانًا يزيد " وبركاتُه " في التَّسليمةِ الأولى .

هذه هيَ صفةُ صلاة النبيِّ ﷺ ، وقد قـالَ : « **صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي** » (١). وقد أمرَ بذلكَ المُسيءَ صلاَته فقالَ له : « **إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاة فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيسَّرَ لَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قائمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاتِكَ كُلِّها** » (٢).

حكم صلاة الجماعة :

شُهودُ الجماعة فَرْضٌ واجبٌ إلا منْ عُذْرٍ، لقوله ﷺ : « **مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِه فَلاَ صَلاَةَ لَهُ إلاَّ مِنْ عُذْرٍ** » (٣). وقد أمرَ اللهُ تعَالى بالجَماعَـةِ فقـال : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [البقرة :٤٣].

وأمر بها في الحرب فقال : ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمْ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ** ﴾ [النساء: ١٠٢]. وإذا كان قد أمرَ بها فـي الحَرْبِ ففي الأمْنِ أوْلى .

وجَعلَ النبيُّ ﷺ التَّخلُّفَ عن الجماعة من خصائص المنافقين، وتوعَّـدهم بتَحْريقِ بيُوتهم ، فقال : « **أثْقَلُ صَلاَةٍ علَى المُنَافقين صَلاَةُ العشَاءِ وصَلاَةُ الْفَجْرِ، ولَوْ يَعْلَمُونَ مَا فيهمَا لأَتَوْهما ولَوْ حَبْوًا، ولَقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بالصَّلاَةِ فَتُقَامَ ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بالنَّاس، ثُمَّ أنْطَلِقَ مَعي برجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بالنَّارِ** » (٤).

---

1 - خ (٢/١١١/٦٣١) .
2 - متفـق عليـه : خ (٢/٢٧٦/٧٩٣)، م (١/٢٩٨/٣٩٧)، د (٣/٩٣/٨٤١)، ت (١/١٨٦/٣٠٢)، جه (١/٣٣٦/١٠٦٠)، نس (٢/١٢٤).
3 - صحيح : [ص. جه : ٦٤٥] ، جه (١/٢٦٠/٧٩٣) .
4 - متفق عليه : خ (٢/١٤١/٦٥٧) ، م (١/٤٥١/٦٥١) .

ولقدْ كانَ معلُومًا لدى أصْحابِ رسُولِ الله ﷺ أنَّه لا يتخلَّف عن الجماعةِ إلا مُنَافِقٌ، ولذا روى مُسلِمٌ في صَحيحِه عن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه أنَّه قال : « **مَنْ سَرَّهُ أنْ يَلْقَى اللهَ تَعالَى غَدًا مُسْلمًا فَلْيُحَافِظْ علَى هَؤُلاءِ الصَّلَواتِ حَيْــثُ يُنَادَى بِهِنَّ ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى، وإنَّـهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، ولَــوْ أنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بيُوتِكُمْ كمَا يُصَلِّي هذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِه لتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُم ، ولَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُم ، ولَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخلَّفُ عَنْهَــا إلاَّ مُنَــافِقٌ مَعْلُــومُ النِّفَاقِ، ولَقَدْ كانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ**»[1].

* * *

1 - م (٦٥٤-٢٥٧/٤٥٣/١)، د (٥٤٦/٢٥٤/٢)، جه (٧٧٧/٢٥٥/١)، نس (١٠٨/٢) .

أحكام صلاة الجمعة

قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٩) فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ٩،١٠] .

وقال ﷺ : « رَوَاحُ الْجُمُعَةِ واجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ » [١].

إنَّ صَلاةَ الجُمعةِ فرْضُ عَيْنٍ على كُلِّ مُسْلمٍ، بالغٍ، عاقلٍ، حـرٍّ، ذكـرٍ، صحيحٍ، مقيم .

قال ﷺ : « الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إلاَّ أَرْبَعَة: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أو صَبِيٌّ، أو امْرَأَةٌ، أو مَرِيضٌ » [٢].

وقال ﷺ : « لَيْسَ عَلَى مُسَافِرٍ جُمُعَةٌ » [٣].

فمنْ توفَّرتْ فيه هذه الشروطُ كان شُهودُ الجُمعَةِ فَرْضًا عليه، ولا يجوزُ له تركُها، وأمَّا العبْدُ والصَّبِيّ، والمَرْأةُ، والمَريضُ ، والمُسَافرُ، فلا تجـبُ علَـيْهمُ الجُمعة، لكنْ إنْ شَهدُوها أجْزَأَتْهم ، ومَنْ أنْكرَ فَرْضيَةَ الجُمعَةِ فقد كفرَ وخـرَجَ عَنِ الإسْلام، لأنَّه أنكرَ واجبًا من الواجباتِ المعلومَةِ من الدِّينِ بالضَّرُورَة.

---

1 - صحيح : [ص. ن : ١٣٧٠] ، نس (٣/٨٩).
2 - صحيح : [ص. د: ٩٤٢]، د (١٠٥٤/٣/٣٩٤)، قط (٢/٣/٢)، هق (٣/١٧٢)، كم (١/٢٨٨).
3 - حسن لغيره : [الإرواء : ٣/٦١] ، قط (٢/٤/٤) .

ولقد كان رسُولُ الله ﷺ يرغّبُ في حضور الجمعة ويحثُّ عليها، ببيّـــان عظيم فضلها، وكثْرَةِ ثوابِ من حضرها ، فقال ﷺ : « **الصَّـلَوَاتُ الخَمْـسُ، والْجُمُعَةُ إلَى الْجُمُعَةِ، ورمَضَانُ إلَــى رَمضَــان ، مُكَفِّــراتٌ لمَــا بَيْــنَهُنَّ إذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبائرُ** » [١] ، وقال ﷺ : « **مَنْ تَوضَّأ فَأحْسَنَ الوُضُــوءَ، ثُــمَّ أتَــى الجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وزِيَادَةُ ثلاثَةِ أيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَا فَقَدْ لَغَا** » [٢].

وكمَا حثّ ﷺ على حُضورِ الجُمُعَةِ فقَدْ حذَّر من التَّخلُّفِ عنْها لِغَيْرِ عُذْرٍ، وبيّن أنَّ التخلُّف لغيْرِ عُذْرٍ من الأسْبابِ المُوجِبَةِ للخَتْمِ علَى القَلْبِ، فــلا يكــادُ يفْقَهُ شيئًا .

قال ﷺ : « **مَنْ تَركَ ثَلاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبعَ اللهُ عَلَى قَلْبِه** » [٣].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ وأبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهم قالاَ : سَمِعْنَا رَسُــولَ الله ﷺ يَقُولُ وَهُوَ عَلَى أعْوادِ منْبَرِه : « **لَيَنْتَهِيَنَّ أقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمعَاتِ أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلوبِهِم، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلين** » [٤].

وقال ﷺ : « **لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمرَ بالصَّلاةِ فَتُقَامُ ، ثُمَّ آمرَ رَجُلاً فَيُصــلّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أنْطلِقَ إلَى أقْوامٍ لاَ يَشْهَدُونَ الْجُمُعَةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِم بُيُوتَهُمْ** » [٥].

---

1 - م (٢٣٣-١٦-/٢٠٩/١)، ت (١/١٣٨/٢١٤) وليس عنده جملة " ورمضان الى رمضان " .

2 - م (٨٥٧-٢٧-/٢/٥٨٨)، د (٣/٣٧٤/١٠٣٧)، ت (٢/٥/٥٩٦).

3 - حسن صحيح : [ص. د: ٩٢٨] ، د (٣/٣٧٧/١٠٣٩)، ت (٢/٥/٤٩٨)، جه (١/٣٥٧/١١٢٥)، نس(٣/٨٨).

4 - م (٢/٥٩١/٨٦٥)، نس (٣/٨٨) .

5 - م (١/٤٥٢/٦٥٢) .

آداب يوْم الجمعة :

يُستحبُّ للمسلِم أنْ يُراعِيَ هذه الآدابَ يوْمَ الجُمعةِ وأنْ يُحافِظَ علَيْها :

ومنها : الإكْثَارُ مِنَ الصَّلاة على النبي ﷺ ليلةَ الجُمعةِ ويوْمَها، لقولِه ﷺ: **«إنَّ منْ أفْضَلِ أيّامكُمْ يوْمَ الْجُمُعَة، فأكْثرُوا علَيَّ منَ الصَّلاةِ فيه، فإنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ علَيَّ. قالُوا : يَارَسُولَ الله، وكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أرِمْتَ – أيْ بَلِيتَ – ؟ قَالَ : إنَّ اللهَ حَرَّمَ علَى الأرْضِ أنْ تَأْكُلَ أجْسَادَ الأنْبِيَاءِ »** [1].

ومنها : قراءَةُ سُورةِ الْكَهْفِ، لقوله ﷺ : **« مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ »** [2].

ومنها : الغُسلُ عنْد الرَّواحِ إلى الجُمُعَةِ، لقَوْلِه ﷺ : **« غُسْلُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ علَى كلِّ مُحْتَلمٍ »** [3].

ومنها : الدُّهنُ والطِّيبُ، لقوله ﷺ : **« لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتطَهَّرُ ما اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِه، أوْ يَمَسُّ مِنْ طيبِ بَيْتِه، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إذَا تَكَلَّمَ الإمَامُ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى »** [4].

ومنها : التَّبكيرُ إلى المَسْجِدِ، لقوله ﷺ : **« مَنِ اغْتَسلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأنّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكأنّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي**

---

1 – صحيح : [ص. جه : ٨٨٩] ، د (٣/٣٧٠/١٠٣٤)، جه (١/٣٤٥/١٠٨٥)، نس (٣/٩١).

2 – صحيح : [الإرواء : ٦٢٦] ، كم (٢/٣٦٨)، هق (٣/٢٤٩) .

3 – متفق عليه : خ (٢/٣٥٧/٨٧٩)، م (٢/٥٨٠/٨٤٦)، د (٢/٤/٣٣٧)، جه(١/٣٤٦/١٠٨٩)، نس (٣/٩٣).

4 – خ (٢/٢٧٠/٨٨٣) .

السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ » (١).

فإذا دخلَ المسْجِدَ فليقدّمْ رِجْلَهُ اليُمْنَى ثمَّ يقول : أعوذُ باللهِ العظيم، وبوَجْهِه الكريم، وسُلْطانِه القديم مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم (٢). بسْمِ الله ، اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذنُوبي وافْتَحْ لي أبْوابَ رَحْمَتِك » (٣).

ثُمَّ يتقدَّم إلى الصُّفوفِ الأُولى فيُتِمَّها .

عن جَابرِ بنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهُ قال : خرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فرآنا حلَقًا. فقَالَ : « **مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ** » ؟ ثُمَّ خرَجَ بعْدَ ذَلكَ فقَالَ : « **أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا** » ؟ قَالُوا : يَارَسُولَ الله، وكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ ربِّها ؟ فقال : « **يُتِمُّونَ الصَّفَّ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ** » (٤).

وإذا كانَ رسولُ الله ﷺ حثَّ على التَّبْكيرِ فقد حذَّر من التأخّر، فعَنْ أَبِي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : رَأى رَسُولُ الله ﷺ في أَصْحابه تَأَخُّرًا ، فَقَالَ : « **تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَمَا زَالَ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ** » (٥).

فإذا دخلَ المسْجِدَ فلْيُصلِّ رَكْعَتيْنِ قبلَ أنْ يجْلسَ، فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ**

1 - متفق عليه : خ (٢/٣٦٦/٨٨١)، م(٢/٥٨٢/٨٥٠)، د(٢/١٤/٣٤٧)، ت (٢/٥/٤٩٧)، نس (٣/٩٧).
2 - صحيح : [ص.د : ٤٤١] ، د (٢/١٣٢/٤٦٢) .
3 - صحيح : [ص. جه : ٦٢٥] ، جه (١/٢٥٣/٧٧١)، ت (١/١٩٧/٣١٣) .
4 - م (١/٣٢٢/٤٣٠)، د (٢/٣٦١/٦٤٧)، نس (٢/٩٢)، جه (١/٣١٧/٩٩٢).
5 - م (١/٣٢٥/٤٣٨)، د (٢/٣٧٥/٦٦٦)، جه (١/٣١٣/٩٧٨)، نس (٢/٨٣).

أَنْ يَجْلِسَ » [١].

فإذا صلّى تحيَّةَ المسْجِدِ فإنْ شاءَ صلَّى ما كُتبَ له، وإنْ شاءَ اشْتغلَ بذِكْرِ اللهِ عزّ وجلّ، كقراءةِ قرآنٍ ، أو استِغْفارٍ ، أو تسْبيحٍ ، أو صلاةٍ على النبيِّ ﷺ ونحْو ذلك، حتَّى يخرجَ الإمامُ ، فإذا خرجَ الإمامُ أقبلَ عليه، واسْتمعَ له وأنصتَ ولْيَحْذَرْ منَ الكلامِ أثناءَ الخُطبة، فقد قال ﷺ : « **إذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَـــةِ وَالإمَامُ يَخْطُبُ أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَوْتَ** » [٢].

وقولُ القائلِ لصاحبه « أنْصِتْ » من بابِ الأمْرِ بالمَعْروفِ والنَّهْيِ عـــن المُنْكر، ومعَ ذلكَ فقد سمّاه النبيُّ ﷺ لَغْوًا، وذلك من باب ترجيح الأهمِّ، وهـــو الإنصاتُ لموعظةِ الخطيب على المُهمِّ وهو الأمرُ بالمعْرُوفِ أثناءَ الخُطبة، وإذا كان الأمرُ كذلك، فكلُّ ما كانَ في رُتْبَةِ الأمْرِ بالمَعْرُوف: كتَشْميتِ العاطس، وردّ السلام، ومُتَابَعةِ الخطيب على ذِكْرِ الله، أوِ الصَّلاةِ علَى رَسُولِ الله، ونَحْوِ ذلك، فَحُكْمُهُ حُكْمُ الأمرِ بالمَعْرُوف، وما كان دُونَه في الرُّتْبَةِ فهو أَوْلى بالمنع.

فإذا انْصرفَ الإمامُ من الصَّلاةِ استُحبَّ لكلِّ مُصَـــلٍّ أن يـــأتيَ بالأذكـــارِ المشْرُوعَةِ عَقِبَ الصَّلاة بأن يقول : « أستَغْفِرُ الله، أستغفر الله، أستغفر الله» [٣].

« اللّهمَّ أنتَ السَّلامُ ومنْكَ السَّلام ، تباركتَ يا ذا الجلالِ والإكْرام » [٤].

---

1 – متفق عليه: خ (١/٥٣٧/٤٤٤)، م (١/٤٩٥/٧١٤)، ت (١/١٩٨/٣١٥)، جه (١/٣٢٤/١٠١٣)، نس(٢/٥٣)، د (٢/١٣٣/٤٦٣).

2 – متفق عليـــه : خ (٢/٤١٤/٩٣٤)، م (٢/٥٨٣/٨١٥)، جـــه (١/٣٥٢/١١٠)، نـــس (٣/١٠٤)، د (٣/٤٦٠/١٠٩٩)، ت (٢/١٢/٥١١) .

3 – م (١/٤١٤/٥٩١)، ت (١/١٨٤/٢٩٩)، د (٤/٣٧٧/١٤٩٩)، جه (١/٣٠٠/٩٢٨)، نس (٣/٦٨)

4 – السابق .

« اللَّهمّ أعنّي علَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِك » [١].

« لا إلهَ إلاَّ الله، وحْدَه لاشريكَ له، لهُ المُلْكُ ولَهُ الْحَمْدُ وهُوَ علـــى كـــلِّ شَيءٍ قدير، لاَ حَوْلَ ولا قُوةَ إلاَّ بالله، لا إله إلاَّ الله، ولا نَعْبُدُ إلاَّ إياه، لَهُ النِّعْمَةُ ، ولَهُ الْفَضْلُ ، ولَهُ الثَّناءُ الحسنُ ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ مُخْلِصينَ لَهُ الـــدِّين ولَـــوْ كَـــرِهَ الْكَافِرُون» [٢].

لاَ إلَهَ إلاَّ الله، وحْدَهُ لا شَرِيكَ له ، لَهُ الْمُلْكُ ، ولَهُ الْحَمْدُ ، وهُوَ علَى كُـــلِّ شَيْءٍ قدير، اللَّهمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، ولا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ منك الجدُّ [٣].

ثم يقرأ آيةَ الكُرْسِيِّ [٤] والإخلاصَ والمُعَوِّذَتَيْن [٥]، ثم يقُولُ : سُبْحَانَ الله، ثلاثًا وثلاثين ، والحمْدُ لله ، ثلاثًا وثلاثين ، واللهُ أكبر، ثلاثًا وثلاثين ، ثم يقـــولُ تمامَ المائة : لا إلهَ إلاَّ الله ، وحْدَهُ لاشريكَ له ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الْحَمْدُ وهُوَ علَـــى كُلِّ شَيءٍ قدير [٦].

ثم يقومُ فيُصلِّي سُنَّةَ الجُمُعَةِ ، لقوله ﷺ : « **إِذَا صَـــلَّى أَحَـــدُكُمُ الْجُمُعَـــةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا** » [٧].

---

1 – صحيح : [ص.د : ١٣٤٧] ، د (٤/٣٨٤/١٥٠٨)، نس (٣/٥٣) .
2 – م (١/٤١٥/٥٩٤)، د (٤/٣٧٢/١٤٩٢)، نس (٣/٧٠).
3 – متفق عليه : خ (٢/٣٢٥/٨٤٤)، م (١/٤١٤/٥٩٣)، د (٤/٣٧١/١٤٩١)، نس (٣/٧٠) .
4 – صحيح : [ص. ج: ٦٤٦٤] ، طب (٨/١٣٤/٧٥٣٢).
5 – صحيح : [ص. ن : ١٢٦٨] ، د (٤/٣٨٥/١٠٥٩) ، نس (٣/٦٨) .
6 – م (١/٤١٨/٥٩٧).
7 – م (٢/٦٠٠/٨٨١)، جه (١/٣٥٨/١١٣٢)، د (٣/٤٨١/١١١٨)، ت (٢/١٧/٥٢٢).

والأَفْضَلُ أنْ يُصلِّيَها في بَيْتِه ، فقد كانَ ﷺ إذا انْصَرفَ مِنَ الْجُمُعَةِ لَمْ يُصلِّ بعْدَها حتَّى يدْخُلَ بيْتَه فيُصلِّي ركْعَتيْن [١].

وتلْكَ هي السنّةُ في النَّوافلِ كلِّها، أن تكونَ في البيتِ ، لقولِه ﷺ : « **أَفْضَلُ صَلاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِه إلاَّ الْمَكْتُوبَة** » [٢].

فإذا خرجَ المُصلِّي من المسْجدِ قدَّم رِجْلَهُ الْيُسْرَى وقالَ : «اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّد ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذنُوبِي وافْتَحْ لي أبْوابَ فَضْلِك » [٣].

السُّنَّة في القراءةِ في فَجْرِ الجمعة :

لقد كانَ مِنْ هَدْيِه ﷺ في فَجْرِ الجُمُعة أن يَقْرَأَ بسُورَتَي السَجْدةِ والإنْسَانِ كامِلَتَيْن [٤]، وذلكَ لأنَّهما تتحدَّثان عن المبدأ والمعَادِ وما بيْنَهما، وما بعْدَ المَعادِ مِنَ الحسابِ والجزَاء، والجنّةِ والنّار، فكانَ ﷺ يريدُ بقراءَتِه أن يذكِّر المُسْلمينَ بمَا كانَ ومَا يكونُ في يَوْمِ الجُمعة، وذلكَ أنْ فيه خُلِقَ آدمُ ، وفيه تقومُ السَّاعة، فكأنَّه ﷺ أراد أنْ يَقُولَ : إذا عَلِمْتُم أنَّ السَّاعةَ تكونُ يوْمَ الجمُعة، فهذا يَومُ الجُمعة، وهذا ما يكونُ إذا جاءَتِ السَّاعة، فماذا أعْدَدْتُم لها ؟.

هذا ما أراده النبيُّ ﷺ من قراءةِ هاتيْنِ السُّورَتَيْنِ يومَ الجُمعة، فظنَّ بعْضُ النَّاسِ أنه إنما أراد السَّجْدَة، وأنَّ مِنْ خَصائص يَوْمِ الجُمعة اخْتِصَاصَ فَجْرِه بِسَجْدةِ التِّلاوة، فتَراهم يَقْرَءُونَ مِنَ السَّجْدَةِ آيتيْن قبْلَ مَوْضعِ السَّجْدَةِ ثُمَّ

---

1 - متفق عليه : خ (٢/٤٢٥/٩٣٧) ، م (٢/٦٠٠/٨٨٢) .

2 - خ (٢/٢١٤/٧٣١) ، نس (١/٥٣٩/٧٨١) ، د (٣/٣٢١/١٤٣٤) ولفظ الأخيرين « فإن خير صلاة المرء » .

3 - هذا من جملة الحديث السابق في ذكر الدخول ، وقد سبق تخريجه .

4 - متفق عليه : خ (٢/٣٧٧/٨٩١)، م (٢/٥٩٩/٨٨٠)، نس (٢/١٥٩).

يسْجُدون، ثُمَّ يقوُمونَ فيقْرَءُونَ آيتيْنِ ثُمَّ يركَعُونَ فإذا قَامُوا في الثَّانيـــة قـــرَؤُوا آيتيْنِ منَ الإنْسانِ ثُمَّ ركَعُوا، وإنْ لَمْ يَفْعَلوا هذا قرَؤُوا بسُورةٍ فيها سَجْدةٌ حتَّـــى يسْجُدوا، لظنِّهم أنَّ سَجُودِ التِّلاَوةِ منْ لَوازِمِ فَجْرِ الجُمُعة، علْمًا بأنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّه سجَد حينَ أتَى علَى مَوْضعِ السَّجدةَ. فثَبتَتِ القِراءَةُ ونُقلَتْ ولَمْ يُنقلِ السُّجودُ، كما قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرِ – رحمه الله – في فَتْح الباري [1].

ولذا استحبَّ العُلماءُ أن لا يُدَاوِمَ أئمةُ المساجدِ على قِرَاءةِ السُّورَتَيْنِ كـــلَّ جُمُعَة ، وإذا قرؤوهما سجَدُوا أحْيانًا، وترَكُوا أحيانًا .

هذا هو هدْيُهُ ﷺ ، وَخيْرُ الْهَدْي هدْيُهُ، وشرُّ الأمُـــورِ مُحْـــدَثَاتُها، وكـــلُّ مُحْدَثَةٍ بدْعة، وكلُّ بدْعَةٍ ضلاَلة، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

* * *

1 – فتح الباري : (٢/٣٧٩).

الركن الثالث : الـزكاة

الزَّكاةُ اسْمٌ لهذا القَدْرِ منَ المَالِ الَّذي يدْفَعُه الأغْنياءُ للفُقرَاء .

وسُمِّيتْ زكاةً لأنَّها تُزَكِّي المالَ وتُنمِّيه، كما تُزَكِّي صاحِبَها وتُطهِّرُهُ مِنْ دَنسِ البُخْلِ والشُّحِّ. قال تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

والزَّكاةُ أحَدُ أرْكانِ الإسلامِ الخَمْسة ، وفَريضةٌ من فرائضِ هذا الدِّين، وقد دلَّ على فَرْضيَّتِها الكتابُ والسُّنةُ وإجْماعُ الأُمَّة .

قال تعالى:﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾[التوبة:١٠٣].

وقال تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [البقرة :٤٣].

وقال تعالى : ﴿ **فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ** ﴾ [الحج : ٧٨].

وقد قُرِنَتِ الزَّكاةُ بالصَّلاةِ في اثْنَتيْنِ وثَمانينَ آية .

وقال رسولُ الله ﷺ : « **بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وإِقَامُ الصَّلاة، وإِيتَاءُ الزَّكَاة، وصَوْمُ رَمَضَانَ، وحَجُّ الْبَيْتِ** » [1]، ولمَّا سألَ جبْريلُ النبيَّ ﷺ عن الإسْلامِ ذكَر له هذه الخَمْسَ ولما بعَث النبيُّ ﷺ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ إلَى اليَمنِ قالَ له :

---

1 – متفق عليه : خ (١/٤٩/٨)، م (١/٤٥/١٦)، نس (٨/١٠٧)، ت (٤/١١٩/٢٧٣٦) واللفظ له .

« إنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ، وأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِم فَتُرَدُّ فِي فُقَرائِهِم، فإنْ هُمْ أطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فإيَّاكَ وكَرائِمَ أمْوالِهِم ، واتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » [١].

وأَجْمَعت الأُمَّةُ علَى وجُوبِ الزَّكاةِ وأنَّها إحْدَى فَرائِضِ الدِّين .

وقد كَثُر في القُرْآنِ الكريمِ وأحاديثِ النبيِّ العظيمِ الحثُّ علـى إخْـراجِ الزَّكاة، والتَّرْغيبُ في أدائها، والتَّرْهيبُ مِنْ مَنْعِها.

قال تعالى : ﴿ الم(١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ(٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ(٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان :١-٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ(١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات :١٥-١٩].

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [التوبة :٧١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[آل عمران:١٨٠].

---

1 - متفق عليه : خ (٣/٣٥٧/١٤٩٦)، م (١/٥٠/١٩)، د (٤/٤٦٧/١٥٦٩)، نس (٥/٥٥)، جه (١/٥٦٨/١٧٨٣)، ت (٢/٦٩/٦٢١) .

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ آتاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَـهُ مَالُـهُ شُجَاعًا أقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُـمَّ يَأْخُـذُهُ بِلِهْزِمَتَيْـهِ –يعني شِدْقَيْه– ثُمَّ يقُولُ : أنَا مَالُكَ ، أنَـا كَنْـزُكَ ، ثُـمَّ تَـلاَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ الآيـة ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ... ﴾ » [1].

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَـبِيلِ اللَّه فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَاكَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَاكُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[التوبة:٣٤،٣٥]

قال رَسُولُ الله ﷺ : « مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْها حَقَّهَا إلاَّ إذا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَـا فِـي نَـارِ جَهَنَّم، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُه، كُلَّمَا بَرُدَتْ أُعِيدَتْ له، فِي يَـوْمٍ كَـانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ ، فَيُرَى سَبِيلُهُ ، إمَّـا إلَـى الْجَنَّةِ ، وإمَّا إلَى النَّارِ » [2].

ما حكم مانعها ؟

قال العلماء : مَنْ أنْكرَ فَرْضيَةَ الزَّكاةِ وَوُجُوبَها فهو كـافرٌ خَـارِجٌ عَـن الإسلام، لأنَّ فَرْضيَة الزَّكاةِ معْلُومَةٌ مِنَ الدِّين بالضَّرُورَة، وكُلُّ مَنْ أنْكَرَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّين فَرْضيَّتُه بالضَّرُورَةِ فهو كافرٌ خَارِجٌ عَنِ الإسْلام .

أمَّا مَنْ أقرَّ بوجُوبِ الزَّكاةِ وفَرْضيَتها ثُمَّ غلَبه الشُّحُّ فَلَمْ يُؤدِّها فقـد قـالَ العلماء : يجبُ على الحَاكِمِ أنْ يأْخُذَها منْه قهرًا ، ويأخذَ شَطْرَ مالـه عُقُوبـةً،

1 – خ (٨/٢٣٠/٤٥٦٥) .
2 – م (٢/٦٨٠/٩٨٧)، د (٥/٧٥/١٦٤٢) .

لقوله ﷺ : « **فِي كُلِّ سَائِمَةِ إبلٍ : فِي كُلِّ أَرْبعينَ بِنْتُ لَبُونٍ ، وَلاَ تُفَـرَّقُ إبِـلٌ عَنْ حِسَابِها، مَنْ أَعْطَاهَا مُؤتجرًا فَلَهُ أَجْرُها، وَمَنْ مَنَعَها فإِنَّا آخذُوها وَشَـطْرَ مَالِه، عَزْمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا ، لَيْسَ لآلِ مُحَمَّدٍ مِنْهَا شَيْءٌ** » [١].

وإِذَا اجْتَمع أهْلُ بَلدٍ علَى مَنْع الزَّكاة وكانَتْ لهم شَوْكَةٌ وغَلَبةٌ قاتَلهم الحاكِمُ حتَّى يأخُذَها منْهم قهْرًا ، كما فعلَ خليفَـةُ رسُـولِ الله ، أبُـو بكْـرٍ الصِّـديقُ رضيَ اللهُ عنه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « لَمَّا تُوفِّيَ النَّبِـيُّ ﷺ واسْـتُخْلفَ أَبُوبَكْرٍ بَعْدَه ، وكَفَرَ مَنْ كَفَر منَ العَربِ، قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب لأَبي بَكْرٍ : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وقَدْ قالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُـوا : لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ ، فَمَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَـهُ إِلاَّ بحَقِّـه، وَحِسَابُهُ علَى الله** » ؟ فَقالَ أبو بكْرٍ : وَالله لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بيْنَ الصَّلاةِ والزَّكاة، فإِنَّ الزَّكاةَ حَقُّ الْمالِ، والله لَوْ مَنعُوني عقَالاً كَانُوا يُؤدُّونَها إِلَى رَسُـولِ الله ﷺ لَقاتَلْتُهم علَى مَنْعها. قالَ عُمَرُ : فَوالله ماهُو إلاَّ أنْ رَأيْتُ أنَّ اللهَ شَرَحَ صَدْرَ أَبي بكْرٍ للْقتَالِ فَعَرَفْتُ أنَّهُ الحَقُّ » [٢].

على مَنْ تَجِبُ الزَّكاة ؟

تجبُ الزَّكاةُ على كُلِّ مُسْلمٍ ، حُرٍّ ، مَالكٍ للنِّصَابِ ، لا فَرْقَ بـيْنَ الـذَّكرِ والأُنْثَى، ولاَ بَيْنَ الصَّغيرِ والكبير .

---

1 - حسن : [ص. ن : ٢٤٤٣] ، د (٤/٤٥٢/١٥٦٠)، نس (٥/١٥) .

2 - متفق عليه : خ (٣/٢٦٢/١٤٠٠)، م (١/٥١/٢٠)، د (٤/٤١٤/١٥٤١)، ت (٤/١١٧/٢٧٣٤)، نس (٥/١٤).

مـــتى تجـــب ؟

تجبُ الزَّكاةُ إذا حالَ على النِّصابِ حَوْلٌ وهو في مِلْكِ المَالِك، لقولِه ﷺ : « لاَ زَكَاةَ فِي مَالٍ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ » [١].

ويُسْتَثْنى من ذلكَ الزَّرْع ، فإنَّ زكاتَه واجِبَةٌ على الفَوْرِ وقْــتَ حصَــادِه، لقولِه تعالى : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٤١].

والنِّصاب لا يقدَّر بمَبْلَغ من المال مَعْلُوم، وإنَّما هو مُقَيَّدٌ بسِــعْرِ الــذَّهَبِ والْفِضَّةِ ، ونِصَابُ الذَّهبِ عِشْرونَ مِثْقالاً ، قيلَ أنَّها تُساوي بالوزْنِ الحاضرِ ستَّةً وثمانينَ غِرامًا . ونِصَابُ الفِضَّة مائتا درهم ، وهي تساوي ســتمائة وأربعــة وعشرين جرامًا .

فمَنْ ملَك من المال مايساوي قيمة نصاب الفضة، وحالَ علَيْه الْحَوْلُ فقــد وجَبتْ عليه الزكاة. والزَّكاةُ واجِبَةٌ على الفَوْرِ إذا حَالَ الْحَوْلُ ، ولا يجوزُ حَبْسُها أوْ تأخِيرُها ، فبمرُورِ الحَوْلِ وجَبَ عليك أيها الغنيُّ في مالِكَ حَقٌّ للفقير ، فيجِبُ عليك المُبادَرَةُ والإسْرَاعُ إلى أداءِ هذا الحقِّ لصَاحِبه .

ولا يجوزُ تأخيرُ الزَّكاة إذا حالَ الحَوْلُ، ولكن يجوزُ تَعْجِيلُها [٢]، بشَــرْطِ أنْ تَكُونَ النيَّةُ وقْتَ الدَّفْعِ على أنَّ هذَا المَدْفُوعَ مِنَ الزَّكاة [٣].

---

1 – صحيح : [ص. ج : ٧٤٩٧] ، جه (١/٥٧١/١٧٩٢)، قط (٢/٩٠/٣)، هق (٤/٩٥) .

2 – لحديث عليّ : « أن العباس سأل النبي ﷺ في تعجيل الصدقة قبل أن تحلّ، فرخّص له في ذلك» حسن : [ص.ت : ٦٧٨]، د (٥/٢٧/١٦٠٨)، ت (٢/٩٣/٦٧٣)، جه (١/٥٧٢/١٧٩٥).

3 – لقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » وقد سبق .

ما حكم المالك المدين ؟

رجلٌ عنْدَهُ مالٌ وعلَيْه دَيْنٌ، فكَيْفَ يُزكي ؟ يَجبُ علَيْه أن يُمَيِّزَ دَيْنَه من ماله، فإنْ كانَ معَهُ عشرَةٌ – مثلاً – وعلَيْه خَمْسَةٌ ، وجبَتْ عليه الزَّكَاةُ في الْخَمْسَةِ الَّتي يمْلكُها ، وأمَّا الْخَمْسَةُ الأُخْرَى فلَيْسَ فيها زكاة .

عَنْ عائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أنَّها قَالَت : « **لَيْسَ فِي الدَّيْنِ زَكَاةٌ** » [١].

وعَنِ السَّائبِ بن يَزيدَ أنَّه سَمِعَ عُثْمَانَ بنَ عفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَطِيبًا علَى مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ يقُولُ : « **هَذَا شَهْرُ زَكاتكم ، فَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَلْيَقْضِ دَيْنَه، حَتَّى تَخْلُصَ أمْوالُكم فَتُؤدُّوا منْها الزَّكَاة** » [٢].

" وَتَجبُ الزَّكَاةُ في الدُّيونِ الَّتي للإنْسان، وهي الدُّيون الَّتي لَهُ علَى النَّاس، إذَا كَانتْ حالَّةً أوْ مُؤجَّلةً ، فيزكِّيها كُلَّ سَنَةٍ إنْ كانَتْ علَى غَنيٍّ، لكنْ إنْ شَاء أدَّى زكاتَها قبْلَ قَبْضِها مَعَ مالِه، وإنْ شاءَ انْتظَر حتَّى يقْبِضَها فيُزكِّيها لِكلِّ مامَضى.

أمَّا إنْ كانَتِ الدُّيونُ على فَقيرٍ فلاَ زكاةَ على مَنْ هِيَ لَهُ حتَّى يَقْبِضَها فيُزكِّيها سنَةً واحدةً عما مَضَى ، لأنَّها قبْلَ قَبْضِها في حُكْمِ الْمَعْدُوم" [٣].

ما حُكْمُ الْمَالِ الْمُستَفَاد ؟

رَجُلٌ يُزَكِّي في رَمضان ، مثلاً – استَفَاد مالاً ، فهل يَجبُ عَلَيْه أن يُزَكِّي المالَ المُستَفادَ في رَمضان معَ رأْسِ المال، أمْ ينْتَظِرُ حتَّى يحُولَ الحَولُ علَى الْمَالِ الْمُستَفاد ؟

---

1 – حسن : [الإرواء : ٧٨٤] ، ابن أبي شيبة (٣/١٦٣) .
2 – صحيح : [الإرواء : ٧٨٩] ، هق (٤/١٤٨) .
3 – الضياء اللامع لابن عثيمين : (٤٤٨، ٤٤٩) .

لاشكَّ أنَّ الزَّكاةَ واجبةٌ عليه، سواءٌ عجّلها أم أخّرهـــا، ولكـــنَّ العلمـــاء يقولون: مِنْ باب التَّيْسِير على صاحبِ المال، يجبُ أنْ يُخْرِجَ في شَهْرِ زَكاتِـــه عَنْ كل ما عِنْدَهُ من المال سَواءٌ زادَ عن العامِ الماضي أم نقَص ، ما دامَ فَـــوْقَ النِّصاب.

ما حُكْمُ العَقاراتِ المؤجَّرَة والسيَّارات ؟

العَقارُ نفسُه، وكذا عَيْنُ السيَّارة، ليسَ فيهما زكاة، وأما قيمةُ إيجارِ العقارِ فإنَّها إذا كانت نصابًا، وكان الإيجار سنويًّا، فإنه إذا قبضَ الإيجارَ سلفًا لم تجبِ الزكاةُ فيه حتى يمْضِيَ عليه الحَوْل، وإن قبضَ الإيجارَ مؤخَّرًا بعد عامٍ زكَّاه إذا قبضَه، لأنه يملِكُه مِنْ يَوْمِ تأجيرِ العقار .

وكذلك ناتِجُ السيَّارة، إذا لم يدَّخِرْ منْه المالكُ شيئًا فلا زكـــاةَ عليـــه، وإذا ادَّخر من ناتِجها قيمةَ النصاب، وحالَ عليه الحَوْلُ وجبَت عليه الزكاة.

ما حُكْمُ زكَاةِ الحُليّ ؟

حُلِيُّ المرْأةِ ذهبًا أو فِضَّةً، اختلفَ العُلماءُ في حُكْمِ زَكاته :

فذهَب الأئمَّةُ الثلاثَةُ مالكٌ والشَّافِعيُّ وأحمدُ إلى أنَّه لا زكـــاةَ فـــي حُلـــيِّ المرأة، وأما أبو حنيفة فقد قال : في الحُليّ زكاة ، وقَوْلُ أبي حنيفة هو الذي دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّـــذِينَ يَكْنِـــزُونَ الـــذَّهَبَ وَالْفِضَّـــةَ وَلا يُنفِقُونَـهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة : ٣٤] . فلم تستَثْنِ الآيةُ ما كانَ حُلِيًّا.

وعَنْ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : « **أَتَت امْرَأَةٌ مِـــنْ أَهْـــلِ الْيَمنِ رَسُولَ الله ﷺ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا، فِي يَدِهَا مِسْكَتَانِ مِنْ الذَّهَبِ، فَقَالَ : هَـــلْ**

تُعْطِينَ زَكَاةَ هذَا ؟ قَالَتْ : لاَ ، قَالَ : أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بِهِمَا سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ؟»[(١)].

وَعَنْ عَبْدِ الله بنِ شَدَّاد الْهَادِ أَنَّه قَالَ : « دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَرَأَى فِي يَدِي فَتَخَاتٍ مِنْ وَرِقٍ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَاعَائِشَةُ ؟ فَقُلْتُ : صَنَعْتُهُنَّ أَتَزَيَّنُ لَكَ يَارَسُولَ الله ، قَالَ : أَتُؤَدِّينَ زَكَاتَهُنَّ؟ قُلْتُ: لا ، أَوْ مَاشَاءَ الله ، قَالَ : هُوَ حَسْبُكِ مِنَ النَّارِ » [(٢)].

فأيُّما امْرأةٍ ملَكتْ نِصَابًا مِنَ الذَّهبِ أو الفضَّةِ، وحَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ ، وَجَبَ عَلَيْها أنْ تُزكِّيَ ما عِنْدها.

الْقَدْرُ الْواجِبَ إخْرَاجُه :

القَدْرُ الْواجِبُ إخْرَاجُهُ في زكاةِ الذَّهبِ والفضَّةِ أوِ الأوْراقِ الماليَّةِ هو رُبُعُ الْعُشْرِ .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ وعَائِشَةَ : « أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ عِشْرِينَ دِينَارًا فَصَاعِدًا نِصْفَ دِينَارٍ ، وَمِنَ الأَرْبعين دِينَارًا دِينَارًا » [(٣)].

وَعَنْ أَنَسٍ أنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « وَفِي الرِّقَّةِ رُبُعُ الْعُشْرِ » [(٤)].

زكاة المواشئ :

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَتَبَ لَهُ هذَا الْكِتَابَ لمَّا وَجَّهَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ :

---

1 - حسن : [ص. ن : ٢٤٧٨] ، د (٤/٤٢٥/١٥٤٨)، نس (٣/٣٨)، ت (٢/٧٤/٦٣٢) بنحوه .
2 - صحيح : [ص . د : ١٣٨٤] ، د (٤/٤٢٧/١٥٥٠)، كم (١/٣٨٩)، هق (٤/١٣٩) .
3 - صحيح : [ص. جه :١٤٤٨] ، جه (١/٥٧١/١٧٩١) .
4 - هذا جزء من كتاب أبي بكر المذكور، وسأذكر تخريجه قريبًا .

" بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم . هَذِه فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فرَضَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ علَى المُسْلمينَ ، والَّتي أمرَ اللهُ بها رَسُولَه، فَمَنْ سُئِلَها منَ المُسْلمينَ علَــى وجْهِهَا فَلْيُعْطِها، ومَنْ سُئِل فَوْقَها فَلاَ يُعْطِ : في أرْبعٍ وعشْرِينَ منَ الإِبِــلِ فمَــا دُونَها منَ الغَنم، منْ كُلِّ خَمْسٍ شَاةٌ ، فإذا بَلَغَتْ خَمْسًا وعشْــرِينَ إلَــى خَمْــسٍ وثَلاثِينَ فَفيهَا بنْتُ مخَاضٍ أُنْثَى، فإذَا بلَغتْ ستًّا وثَلاثِينَ إلى خَمْسٍ وأرْبَعينَ فَفيها بِنْتُ لَبُونٍ أُنْثَى ، فإذا بلَغتْ ستًّا وأرْبَعينَ إلى ستِّينَ فَفيهِ حقَّةٌ طَرُوقَةُ الْجَمل، فإذا بلَغتْ واحدةً وستِّينَ إلى خَمْسٍ وسَبْعِينَ ففيها جَذَعَةٌ ، فإذا بلَغتْ – يعنــي ســتًّا وسَبْعينَ – إلى تِسْعينَ ففيها بنْتَا لَبُون . فإذا بلَغتْ إحْدَى وتِسْعينَ إلى عِشْــرِينَ ومائةٍ ففيها حِقَّتان طَروقَتَا الْفَحْل. فإذَا زَادتْ عَلى عِشْرِينَ ومائةٍ ففي كُلِّ أرْبعينَ بنْتُ لَبُونٍ، وفي كُلِّ خَمْسِينَ حِقَّةٌ .

ومَنْ لَمْ يكنْ مَعَهُ إلا أرْبَعٌ منَ الإِبلِ فَلَيْسَ فيها صدَقَةٌ إلا أنْ يشَاءَ ربُّهــا، فإذا بَلَغتْ خمْسًا من الإبلِ فَفيها شَاةٌ .

وفِي صدَقةِ الْغَنَمِ في سَائِمَتِها إذَا كانَتْ أرْبعينَ إلى عِشْرِين ومائة شاةٌ، فإذا زادَتْ على عِشْرِينَ ومائةٍ إلى مائتَيْنِ شَاتان، فإذا زادَتْ على مائتَيْنِ إلى ثَلاثمائة فَفيها ثَلاثٌ، فإذا زَادَتْ على ثَلاثمائةٍ ففي كُلِّ مائة شَاةٌ، فإذَا كانَتْ سائِمَةُ الرَّجُلِ ناقصَةً منْ أرْبعينَ واحدةٌ فَلَيْس فيها صَدَقةٌ ، إلا أنْ يشَاءَ رَبُّها. وفِي الرِّقَّةِ رُبُعُ الْعُشْرِ، فإنْ لَمْ تَكُنْ إلا تِسْعينَ ومائةٍ فَلَيْسَ فيهَا شَيْءٌ إلاَّ أنْ يشَاءَ ربُّها " (١).

وعَنْ مُعَاذٍ « **أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا وجَّهَهُ إلَى الْيَمنِ أمرَهُ أنْ يَأْخُذَ منَ الْبَقَــرِ منْ كُلِّ ثَلاثِينَ تَبِيعًا أوْ تَبِيعَةً، ومَنْ كُلِّ أرْبعينَ مُسِنَّةً** » (٢).

1 – خ (٣/٣١٧/١٤٥٤)، د (٤/٤٣١/١٥٥٢)، نس (٥/١٨) .

2 – صــحيح : [ص. د: ١٣٩٤]، ت (٢/٦٨/٦١٩)، د (٤/٤٥٧/١٥٦١)، جــه (١/٥٧٦/١٨٠٣)، نــس (٥/٢٦).

وشُرُوطُ وُجُوب الزّكَاةِ في الْمَواشِي ثَلاَثَةٌ : النِّصَابُ ، والْحَوْلُ، والسَّوْمُ، ومعناه أن تكونَ المواشي ترْعَى مما أنْبَتَهُ اللهُ بلا كُلْفَةٍ طُولَ العامِ أو أكْثرَه ، فإنْ لم تكن سائمةً فلا زكاةَ فيها .

زكاة الزروع والثمار :

قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأنعام:١٤١].

مَا تَجِبُ فيه الزّكَاة ؟

لا تجِبُ الزّكَاةُ في شَيءٍ منَ الزُرُوعِ والثِّمارِ إلاَّ في أَرْبَعةٍ ، بيّنَهـا هـذا الحديث : عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى ومُعاذ بن جَبَلٍ حينَ بعثَهُمَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ إلَى الْيَمنِ يُعَلِّمَانِ النَّاسَ أَمْرَ دينهم : « **لاَ تَأْخُذُوا الصَّـدَقَةَ إلاَّ مِـنْ هَـذِهِ الأَرْبَعَةِ : الشَّعيرُ، والحِنْطَةُ، والزَّبِيبَ ، والتَّمرُ** » (١).

الْقَدْرُ الْوَاجِبُ إخْرَاجُه :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ : « **فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُـونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعُشْرُ، ومَا سُقِىَ بالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ** » (٢).

ولاَ يُشْتَرطُ لوُجوبِ الزّكَاة في الزُرُوعِ والثِّمارِ إلاَّ النِّصابُ، وقدْ بيَّنه ﷺ بقَولِه : « **لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ** » (٣).

* * *

---

1 – صحيح : [س. ص : ٨٧٩] ، كم (١/٤٠١)، هق (٤/١٢٥).

2 – خ (٣/٣٤٧/١٤٨٣) وهـذا لفظـه، د (٤/٤٨٥/١٥٨١)، نـس (٥/٤١)، ت (٢/٧٦/٦٣٥)، جه (١/٥٨١/١٨١٧) .

3 – متفق عليه : خ (٣/٣١٠/١٤٤٧)، م (٢/٦٧٣/٩٧٩)، ت (٢/٦٩/٦٢٢)، جه(١/٥٧١/١٧٩٣)، نس(٥/١٧).

الركن الرابع : الصيام

صيامُ رمضانَ واجبٌ بالكتابِ والسنَّةِ وإجْماعِ الأمَّة .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَات فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة : ١٨٣- ١٨٥].

وقال النبيُّ ﷺ : « بُنَي الإسْلاَمُ علَى خَمْسٍ : شَهَادَةُ أنْ لاَ إلَـهَ إلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وإقَامُ الصَّلاَةِ، وإيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ » (١).

وقد أجْمَعتِ الأمَّةُ على أن صومَ رمضانَ أحدُ أركانِ الإسلام، فمنْ أنْكرَه وجحَد فَرْضيَّتَه فهو كافرٌ مرتَدٌّ عن الإسلام، لأنَّ فرْضيَةَ الصِّيام قَدْ عُلِمَتْ مِنَ الدِّين بالضَّرُورَة، فمَنْ أنكرَ وجُوبَ الصَّوْمِ فهو كافرٌ خارجٌ عن الإسلام، والعياذُ بالله.

---

1 - سبق .

وأمَّا مَنْ أقرَّ بوُجوبِه، واعْتقَد فَرْضيَّتَه، ثُمَّ أفْطرَ في رمضانَ لِغَيْرِ عُـذْرٍ، فَهُوَ عنْد العُلماءِ شرٌّ من الزَّاني ومُدْمنِ الخَمْرِ، بل يشكُّونَ في إسْلامه، ويظنُّونَ به الزَّنْدقةَ والانْحلال.

فضـــله :

ولقد كانَ رسُولُ الله ﷺ يحثُّ أصْحابَه على الصِّيام ، ويُبيِّنُ لهـم فضْـلَه وثَوابَه، وأُثِرَ عنْه ﷺ في ذلكَ أحاديث : منها :

قوله ﷺ : « **مَنْ صَامَ رَمَضانَ إيمَانًا واحْتِسَـابًا غُفِـرَ لَـهُ مَـا تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**»[1].

وقوله ﷺ : « **إنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْـهُ الصَّـائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالَ : أَيْنَ الصَّـائِمُونَ ؟ فَيَقُومُـونَ ، لاَيَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ، فَإِذَا دَخَلُوا ، أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ** »[2].

وقوله ﷺ : « **كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَم يُضَاعَفُ : الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إلَـى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِلاَّ الصَّوْمَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَـدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِه، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ** »[3].

عَلى مَنْ يَجِـبُ ؟

صَوْمُ رمضانَ واجبٌ على كُلِّ مُسْلمٍ ، بالغٍ ، عاقلٍ ، صـحيحٍ ، مُقـيم . ويُشْتَرَط في حقِّ المَرأةِ أن تكونَ طاهرةً منَ الْحَيْضِ والنِّفاس.

---

1 - خ (١/٩٢/٣٨)، جه (١/٥٢٦/١٦٤)، نس (٤/١٥٧) .
2 - متفق عليه : خ (٤/١١١/١٨٩٦)، م (٢/٨٠٨/١١٥٢) .
3 - م (١١٥١-١٦٤-/٢/٨٠٧)، جه (١/٥٢٥/١٦٣٨).

أما الصَّبيُّ والمجْنُونُ فلا يجبُ علَيْهمــا الصَّــوْم ، لَقْــول النبــيِّ ﷺ :
« **رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَة : عَنِ النَّائِمِ حتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّـــى يَحْــتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ** » (١).

ويَنْبَغِي لوليِّ الصبيِّ أن يأمرَهُ بالصَّوم ليعْتادَهُ منْ صغَره، فلا يشقُّ علَيْه عنْد بلُوغه، وهكذا كانَتْ تفعلُ نساءُ أصْحاب رَسُول الله ﷺ بصبْيانهنَّ :

عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعوِّذ قَالتْ : « أَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إلى قُرَى الأَنْصَارِ : مَنْ أَصبْحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمه، وَمَنْ أَصبْحَ صَائمًا فَلْيَصمُ . قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صبْيَاننَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ منَ الْعِهْنِ، فَإذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ، حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإفْطَارِ » (٢).

وأمَّا الْمَرِيضُ والْمُسَافِرُ فَلا يَجِبُ عَلَيْهما الصَّوْمُ، لكنْ إذا صحَّ المــريضُ وأقامَ المسافرُ قَضَيا، لقوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ [البقرة :١٨٤] .

والأفْضَلُ للمسافر إنْ لم يَجدْ مشقَّةً أنْ يصوم، وإنْ وجَد مشقَّةً أن يُفْطرَ :
عَنْ أَبِي سَعيد الْخُدْرِيِّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُول الله ﷺ في رَمَضَانَ فَمنَّا الصَّائمُ ومنَّا الْمُفْطرُ، فَلاَ يَجِدُ الصَّائمُ عَلَى الْمُفْطــرِ، ولاَ الْمُفْطــرُ عَلَى الصَّائم، يَرَوْنَ أَنَّ مَنْ وَجَدَ قُوَّةً فصَامَ فَإنَّ ذَلكَ حَسَنٌ، ويَرَوْنَ أَنَّ مَنْ وَجَدَ ضَعْفًا فَأَفْطَرَ فَإنَّ ذَلكَ حَسَنٌ » (٣).

وإذا صامَ المريضُ والمسافرُ أجزأ عنْهما .

---

1 – صحيح: [ص. ت: ١٤٢٣]، ت (١٤٤٦/٤٣٨/٢)، د (٤٣٨٠/٧٨/١٢)، جه (٢٠٤١/٦٥٨/١) .
2 – متفق عليه : خ (١٩٦٠/٢٠٠/٤)، م (١١٣٦/٧٩٨/٢).
3 – م (١١١٦-٩٦-/٧٨٧/٢)، ت (٧٠٨/١٠٨/٢) .

أمَّا الحائضُ والنُّفساءُ فلا يجوزُ منْهما الصَّوْم، لأنَّ الطَّهارةَ من الحـيْضِ والنِّفاسِ شَرْطٌ لِصحَّةِ الصَّوْم، فإذَا طَهُرَتِ المرْأةُ وجبَ علَيْها قضَاءُ الأيَّامِ الَّتي أفْطَرتْ فيها .

عَنْ عائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : « كَانَ يُصيبُنَا ذَلكَ فَنُـؤْمَرُ بقَضَـاءِ الصَّوْمِ ولاَ نُؤْمَرُ بقَضاءِ الصَّلاة » (١).

مَنْ يُرَخَّصُ لَهُمْ فِي الْفِطْرِ وَعَلَيْهِمُ الْفِدْيَةُ :؟

قالَ تعالى : ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ﴾ [البقـرة :١٨٤]. قال ابنُ عبَّاسٍ : « لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ، هو الشَّـيْخُ الْكَبِيـرُ والْمَـرْأَةُ الْكَبِيـرَةُ لا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يصُوما فَلْيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يومٍ مسْكينًا » (٢).

فالشَّيْخُ الكبير، والمرْأَةُ الكبيرة، وكذلكَ المريضُ الَّذي لا يُرْجَـى بُـرْؤه، والحُبْلَى والمُرْضِعُ ، هؤلاء جميعًا إذا عجَزُوا عن الصَّوْمِ أفْطَرُوا وأطْعَمُوا كُلَّ يَوْمٍ مسكينًا.

عَنْ أَنسِ بنِ مَالك : « أنَّه ضَعُفَ عَنِ الصَّوْمِ عَامًا، فصَنَع جِفْنَـةَ ثَرِيـدٍ ودَعَا ثَلاثِينَ مِسْكينًا فَأَشْبَعُهم » (٣).

وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ قَالَ : « إِذَا خَافَتِ الْحَامِلُ علَى نَفْسِها، والْمُرْضِعُ علَـى وَلَدِهَا في رَمَضَانَ ، يُفْطِرَانِ، ويُطْعِمَانِ مَكانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْـكينًا، ولا يَقْضِـيَانِ صَوْمًا » (٤).

---

1 - م(١/٢٦٥/٣٣٥)، د(٢٥٩ و ١/٤٤٤/٢٦٠)، ت(٢/١٤١/٧٨٤)، نس(٤/١٩١).
2 - خ (٨/١٧٩/٤٥٠٥).
3 - صحيح الإسناد (الإرواء :٤/٢١] ، قط (٢/٢٠٧/١٦)، وعلق البخاري نحوه (٨/١٧٩) .
4 - عزاه الألباني في الإرواء (٤/١٩) للطبري (٢٧٥٨) وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم .

وَعَنْ نَافعٍ قَالَ : « كَانَتْ بِنْتٌ لابْنِ عُمَرَ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْش ، وكانَتْ حامِلاً ، فأصابها عطَشٌ فِي رمَضانَ، فأمرَها ابنُ عُمرَ أنْ تُفْطِرَ وتُطْعِمَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكينًا » (١).

مَا هِيَ أَرْكَانُ الصَّوْمِ ؟

للصَّوْم رُكْنانِ : الأوَّل : النيَّة، لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة :٥]. وقال النبيُّ ﷺ :« **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات** »(٢).

وتجبُ النيَّةُ من اللَّيْلِ قبْلَ طلُوعِ الفجْر، لقوله ﷺ : « **مَـــنْ لَـــمْ يُجْمِـــعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلاَ صِيَامَ لَهُ** » (٣)، والنيَّةُ محلُّها القلْب ، لا عملَ للِّسانِ فيها ، فلا يلْزَمُ أنْ يقُولَ : نوَيْتُ صِيامَ غدٍ ، ونَحْوَ ذلك، لعدَمِ ثُبوتِه عنِ النبيِّ ﷺ .

الرُكْنُ الثَّاني : الإمْسَاكُ عَنِ الْمُفْطِرَاتِ منْ طلُوعِ الفجْــرِ إلـــى غُـــروبِ الشَّمْس، لقولِه تعالى : ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْـيَضُ مِـنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ [البقرة:١٨٧] .

مَا هِيَ الْمُفْطِرَاتُ ؟

١ – الأكْلُ والشُّرْبُ عَمْدًا، فمَنْ أكَل أوْ شَرِبَ عامدًا، ذَاكرًا لصيامه فقد فسَــد صَوْمُه . أمَّا مَنْ أكلَ أوْ شَرِبَ ناسيًا ، فقد قالَ ﷺ : « **مَنْ نَسِـــيَ وَهُـــوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ** » (٤).

---

1 – صحيح الإسناد : [الإرواء : ٤/٢] ، قط (٢/٢٠٧/١٥).
2 – ســـبق .
3 – صــــحيح : [ص.ت : ٧٣٠] ، د (٧/١٢٢/٢٤٣٧)، ت (٢/١١٦/٧٢٦)، نـــس (٤/١٩٦)، جه(١/٥٤٢/١٧٠٠) بلفظ آخر .
4 – متفق عليه : خ (٤/١٥٥/١٩٣٣)، م(٢/٨٠٩/١١٥٥) .

٢ – الْقَيْءُ عمْدًا، فمَنْ وضَع أصبَعَه في فيهِ فهيَّج بطْنَه، أوْ غَيْـرَ ذلـكَ مـن الأسْباب فقد فسدَ صَوْمُه، وإذا غلَبه الْقَيْءُ فلا حرَج عليه، بهـذا صـرّحَ رسُولُ الله ﷺ في قَوْله : « **مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَمَـنِ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ** » (1).

٣ – نُزولُ الْحَيْضِ أَوِ النِّفاسِ علَى المرْأةِ في أيّة لحظةٍ من لحظاتِ النَّهار، لأنَّ الطَّهارَةَ مِنَ الْحَيْضِ والنِّفاس شَرْطٌ في صِحَّةِ صَوْمِ المرْأةِ كما ذكرنا.

٤ – الاسْتِمْنَاءُ عَنْ مُبَاشَرةٍ في اليَقظة . (أما الاحْتِلاَمُ نَهارًا فـلا يُـؤَثِّرُ فـي الصَّوْم).

ولا يلزمُ مَنْ أفطرَ بواحدٍ من هذه المُفْطِراتِ الكفَّارة، وإنَّما تلزمُ الكفَّـارةُ بالجماع، وهو الخامس من المفطرات ، فمن جامَع في نهارِ رمضانَ فقد فسـدَ صوْمُهُ ولَزِمَتْهُ الكفَّارة وهي : عِتْقُ رَقبة، فإنْ لم يجدْ فصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَـابِعَيْنِ، فإنْ لَمْ يسْتَطِعْ فإطْعَامُ ستِّينَ مسْكينًا، فإن لم يَجِدْ استقرَّتِ الكفَّارَةُ في ذِمَّتِهِ حتـى يستطيع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « **بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَارَسُولَ الله : هَلَكْتُ، قَالَ : مَالَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْـتُ علَـى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : وَهَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ : لاَ. قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ : فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مسْكِينًا؟ قَالَ: لاَ . قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرْقٍ فيها تَمْرٌ – والْعَرْقُ الْمِكْتَلِ – قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ ؟ قَالَ : أَنا . قَالَ: خُذْ هَذَا**

1 – صـحيح : [ص.ت:٧٢٠]، ت (٧١٦/١١١/٢) وهـذا لفظـه، د (٢٣٦٣/٦/٧)، جه (١٦٧٦/٥٣٦/١) .

فَتَصدَّقْ به . فَقَالَ الرَّجُلُ : عَلَى أَفْقَرَ منِّي يَارَسُولَ الله ، فَوالله ما بَيْنَ لابَتَيْهَـــا – يُرِيدُ الحرَّتَيْن – أهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بيْتِي ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَـــدَتْ أَنْيَابُه ثُمَّ قالَ : أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ » [1].

آدابُ الصَّوْمِ :

يستحب للصائم أن يأخذ نفسه بهذه الآداب :

١ – السُّحُور : لقوله ﷺ : « **تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً** » [2].

ويُسْتَحبُّ تأخيرُه : عَنْ أَنسٍ عَنْ زَيْد بن ثَابِتٍ رَضِــــيَ اللهُ عَنْــــهُ قَـــالَ : «تَسَحَّرنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ. قُلْتُ : كَمْ كَانَ بَيْنَ الأَذَانِ والسُّحُورِ؟ قَالَ : قَدْرُ خَمْسِينَ آيةً » [3].

ويتحقَّقُ السُّحورُ بالشَّيءِ القليلِ مِـــنَ الطَّعـــام أوِ الشَّـــراب . قـــال ﷺ : «**تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجَرْعَةِ مَاءٍ** » [4].

٢ – تَعْجِيلُ الْفِطْرِ ، متَى تحقَّقَ الصائمُ غُروبَ الشَّمْسِ فينبغي له المبادَرةُ إلى الفُطورِ لقولهِ ﷺ : « **لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ** » [5].

---

1 – متفق عليه : خ (٤/١٦٣/١٩٣٦)، م (٢/٧٨١/١١١)، د (٧/٢٠/٢٣٧٣)، ت (٢/١١٣/٧٢٠)، جه (١/٥٣٤/١٦٧١) .

2 – متفـــق عليـــه : خ (٤/١٣٩/١٩٣٢)، م (٢/٧٧٠/١٠٩٥) ، ت (٢/١٠٦/٧٠٣)، جـــه (١/٥٤٠/١٦٩٢)، نس (٤/١٤١) .

3 – متفق عليه: خ (٤/١٣٨/١٩٢١)، م (٢/٧٧١/١٠٩٧)، ت (٢/١٠٤/٦٩٩)، نس (٤/١٤٣).

4 – صحيح : [ص. ج : ٢٩٤٥] ، حب (٢٢٣/٨٨٤).

5 – متفق عليه : خ (٤/١٩٨/١٩٥٧)، م (٢/٧٧١/١٠٩٨)، ت (٢/١٠٣/٦٩٥).

ويستحبُ أنْ يُفْطِرَ على رُطَبَاتٍ ، أوْ تَمْرَاتٍ ، فإنْ لَمْ يجدْ حسَا حسَـواتٍ من ماء.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ : « **كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٍ فعلَى تَمْرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حسَا حسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ** » [١].

ويستحب أن يدْعُوَ عنْد فِطْره بدَعْوَةِ النبيِّ ﷺ : « **ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبتَ الأَجْرُ إنْ شَاءَ الله** » [٢].

٣ – الكفُّ عَنِ اللَّغْوِ والرَّفَثِ ونَحْوِهِما ممَّا يتنَافَي مَعَ الصَّوْم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « **إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ وَلاَ يَجْهَلْ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ** » [٣].

وَعنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَه** » [٤].

وقَدْ أُثِر عَنْ بعْضِ السَّلَفِ قَوْلُه : إذا صُمْتَ فلْيَصُمْ سَمْعُكَ وبصَرُكَ ولسانُك، ولْيكُنْ عليْكَ يوْمَ صوْمِكَ سكينةٌ ووَقَارٌ، ولاَ تجْعَلْ يوْمَ صَوْمِكَ ويَوْمَ فطْرِكَ سَوَاء .

مَا يُسْتَحَبُّ صَوْمُهُ مِنَ الأَيَّام :

لقد سنّ رسُولُ اللهِ ﷺ صيَام أيَّامٍ من أيَّامِ الأسْبُوعِ والشَّهْرِ والعام، ورغَّب فيها، فيستحبُّ للمسْلِم أن يُحافِظ عليها، فإنَّ من فضَائِل النَّوافِلِ أنَّها تُكمِّلُ بهـا

1 – حسن صحيح : [ص. د : ٢٠٦٥] ، د (٦/٤٨١/٢٣٣٩)، ت (٢/١٠٢/٦٩٢) .
2 – حسن : [ص. د : ٢٠٦٦] ، د (٦/٤٨٢/٢٣٤٠) .
3 – جزء من حديث « كل عمل ابن آدم ... » وقد سبق .
4 – خ (٤/١١٦/١٩٠٣)، د (٦/٤٨٨/٢٣٤٥)، ت (٢/١٠٥/٧٠٢).

الفرائضُ يومَ القيامة ، كما قال ﷺ : « **إنَّ أولَ ما يُحاسَبُ به العَبْدُ يوْمَ القيَامَةَ مِنْ عَمَلِه صَلاتُه ، فإذَا صلَحتْ فقَد أفْلَحَ وأنْجَحَ ، وإنْ فَسدتْ فقَدْ خابَ وخسر، فإنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَته شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وتَعالَى: انْظُرُوا، هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تطَوُّعٍ، فيَكمَّلُ بهِ مَا انْتَقصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يكُونُ سَائرُ عَمَلِه عَلَى ذلك** »[١].

ومن الأيام التي يشرع صومها :

- **الاثنَيْن والخَميس :**

ولقَدْ كانَ رسُولُ الله ﷺ يُحافِظُ على صَوْمِهما، فَسُئِلَ عن ذلـكَ فقَـال : « **إنَّ أعْمَالَ العبادِ تُعْرَضُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ويَوْمَ الخَمِيس** » [٢].

- **ثَلاثَةُ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْر :**

عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ : « **أوْصَانِي خَلِيلِي بثَلاث لاَ أَدَعُهُنَّ حتَّى أمُوتَ: صَوْمُ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وصَلاَةُ الضُّحَى،ونَوْمٌ عَلَى وِتْرٍ**»[٣].

ويُسْتَحبُّ أن تكونَ أيَّامَ الثَّالِثَ عشَر، والرَّابعَ عشَر، والخَامسَ عشَر.

عَنْ مُوسَى بنِ طَلْحَةَ قَالَ : سَمعْتُ أبَا ذَرٍّ يقُولُ : قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ : « **يَا أبَا ذَرٍّ ، إذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أيَّامٍ ، فَصُمْ ثَـلاَثَ عَشْـرَةَ، وأَرْبَـعَ عَشْرَةَ، وخَمْسَ عَشْرَةَ** » [٤].

---

1 - سـبق .
2 - صحيح : [ص. د : ٢١٢٨] ، د (٧/١٠٠/٢٤١٩) .
3 - خ (٢٣/٥٦/١١٧٨)، م (١/٤٩٩/٧٢١)، د (٤/٣١٠/١٤١٩)، ت (٢/١٣٠/٧٥٧)، نـس (٣/٢٢٩) .
4 - ت (٢/١٣٠/٧٥٨)، نس (٤/٢٢٢) .

- **يَوْمُ عَاشورَاءَ وَيَوْمُ عَرفَةَ :**

عَنْ أَبِي قَتَادَةِ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ : « **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ** » . قَالَ : وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ ؟ فَقَالَ : « **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ** » .

ويُسْتَحَبُّ لِمَنْ أرادَ صوْمَ عاشُوراءَ أن يصُومَ يوْمًا قبْلَه : لحديثِ ابْنِ عبَّاسٍ قَال : « حينَ صَامَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وأمرَ بصِيَامِه، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، إنَّهُ يَوْمُ تُعَظِّمُهُ اليَهُودُ والنَّصارَى، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **فَإذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، إنْ شَاءَ اللهُ ، صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ** » . قَال : فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ المُقْبِلُ حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ » [١].

- **ستَّةُ أيَّامٍ مِنْ شَوَّال :**

عَنْ أَبِي أَيُوبَ الأَنْصَارِيِّ : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **مَنْ صَامَ رَمضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوالٍ كَانَ كصِيَامِ الدَّهْرِ** » [٢].

* * *

---

1 - م (٢/٧٩٦/١١٣٤)، د (٧/١١٠/٢٤٢٨) .
2 - م (٢/٨٢٢/١١٦٤)، ت (٢/١٢٩/٧٥٦)، د (٧/٨٦/٢٤/١٦)، جه (١/٥٤٧/١٧١٦) .

الركن الخامس : الحـــج

قالَ تعـــالى : ﴿ إنَّ أَوَّلَ بَيْــتٍ وُضِــعَ للنَّـــاسِ لَلَّـــذِي بِبَكَّـــةَ مُبَارَكًـــا وَهُدًى للْعَالَمِينَ(٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَـــانَ آمِنًـــا وَلِلَّـــهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً وَمَـــنْ كَفَـــرَ فَـــإنَّ اللَّـــهَ غَنِـــيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦، ٩٧] .

فَالْحَجُّ رُكْنٌ مِنْ أركانِ الإسلام، وفريضةٌ من فرائضه، وهو واجبٌ علـــى من توفَّرتْ فيه شُروطُ الوجوب، في العُمُرِ مرَّةً واحدة، وفَرْضِيَتُه معلُومَةٌ مـــنَ الدِّين بالضَّرُورة، فمَنْ أنْكرَ الحجَّ وجحدَ وجُوبَه فقد كفَر وارتدَّ عـــن الإسْـــلام، ومَنِ استطاعَ الحجَّ ولم يحجَّ فقد باء بإثمٍ عظيم .

علَى مَنْ يَجِبُ الحَجُّ ؟

الحجُّ واجبٌ على كلِّ مسْلمٍ بالغٍ عاقلٍ حرٍّ مستَطيع، وتتحقَّقُ الاسْـــتِطَاعَةُ بأمْنِ الطَّرِيقِ والصِّحَّة، ومِلْكِ النَّفقةِ التي تكْفيهِ لذهَابِه وإيابه، شَرِيطَةَ أن تكـــونَ فاضلةً عن حاجتِه وحاجَةِ مَنْ تلْزَمُه نَفقتُه .

ويُشْتَرطُ في حقِّ المرْأة أن يصْحَبها زَوْجٌ أوْ مَحْرَمٌ، فعَـــن ابْـــنِ عبَّـــاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « **لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِـــامْرأةٍ إلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلاَ تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ** » . فَقَامَ رَجُلٌ فَقَـــالَ: يَارَسُولَ الله ، إنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً ، وإنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَـــذَا وكَـــذَا ؟ فَقَالَ : « **انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ** » [1].

---

1 – متفق عليه : خ (٣٠٠٦/١٤٢/٦)، م (١٣٤١/٩٧٨/٢) .

فالاستطاعةُ في حقِّ المَرْأة مشروطةٌ بالشُّروطِ المذْكُورَةِ في حقِّ الرَّجُلِ، وتَزِيدُ علَيْه أنْ يَصْحَبها زَوْجُ أوْ مَحْرَمٌ، لِنَهْي النبيِّ ﷺ المرْأةَ أنْ تُسَافرَ وحْدَها.

والمَحْرَمُ هو مَنْ يَحْرُمُ عَلَيْهِ نِكَاحُ هذه المَرْأةِ أبدًا، كالأبِ والابْنِ، والأخِ، وابْنِ الأخِ، وابْنِ الأُخْتِ ونَحْوِهم .

أمَّا ما يفْعلُه بعْضُ الرِّجال معَ بعْضِ النِّساءِ المُسافِرَاتِ للحجِّ مِنْ أَخْذِ يَدِها بقُوَّةٍ، والقَوْلِ لها : أنْتِ أُخْتِي بعَهْدِ الله، ثُمَّ يسْتَحِلُّ بتِلْكَ الأُخُوَّةِ المزْعُومَةِ مُرافقةَ هذه المرْأةِ وصُحْبَتها والخَلْوةَ بها ونَحْوَ ذلك، فإنَّ هذه الأخوَّةَ أُخوَّةٌ شَيْطَانيَّةٌ لا إيمانيَّةٌ، والْعَهْدُ الَّذي أُخِذَتْ به عَهْدُ الشَّيْطانِ لا عَهْدَ الرَّحمن، فليحْذَرِ الرِّجَالُ والنِّساءُ مِنْ مِثْلِ هذا التصرُّف .

فضـل الحـج :

لقد كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ يرغِّبُ في الحجِّ ويحثُّ عليه، ويبيِّنُ فضلَه وثوابَه، وحُفظَ عنْه ﷺ في ذلك أحاديث ، منها :

قوله ﷺ : « **مَنْ حَجَّ للهِ عزَّ وَجَلَّ ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه** » (١).

وقوله ﷺ : « **الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلاَّ الْجَنَّة** » (٢).

وقوله ﷺ : « **تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ** » (٣).

---

1 – متفق عليه: خ (٣/٣٨٢/١٥٢١)، م (٢/٩٨٣/١٣٥٠)، نس (٥/١١٤)، جه (٢/٩٦٤/٢٨٨٩).
2 – متفق عليه : خ (٣/٥٩٧/١٧٧٣)، م (٢/٩٨٣/١٣٤٩)، جه (٢/٩٦٤/٢٨٨٨)، نس (٥/١١٥)، ت (٢/٢٠٦/٩٣٧).
3 – حسن صحيح : [ص.ت : ٨١٠] ، ت (٢/١٥٣/٨١٧)، نس (٥/١١٥)، جه (٢/٩٦٤/٢٨٨٧).

وُجوبُ الحجِّ على الفوْر :

إذا علِمْنا منزلةَ الحجِّ من الدِّين ، وعلِمْنا فَضْلَه وثوابَه، فعلَى كُلِّ مُستَطيع أنْ يبادِرَ بأداءِ الحجِّ ، فإن الحجَّ واجبٌ على الفوْرِ متى تحقَّقت الاستطاعة، لقوله ﷺ : « **مَنْ أرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتعجَّلْ ، فَإنَّهُ قَدْ يمْرَضُ الْمَرِيضُ، وتَضِـلُّ الضَّـالَّةُ، وتَعْرُضُ الْحَاجَةُ** » (١).

نسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرْشِ العَظيمِ أنْ يُعِينَ المُسْلمينَ على أداءِ ما فرضَ علَيْهم عامَّةً وعلى أداءِ الحجِّ خاصَّةً .

خُذُوا عنِّي مناسِكَكُم
حجَّةُ النَّبيِّ ﷺ

رَوَى مُسْلمٌ (٢) بسَنده عنْ جعْفَرِ بنِ محمَّدٍ عنْ أبيه قالَ : دَخَلْنَا علَى جَابرِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ فَسأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إليَّ ، فَقُلْتُ : أنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِـيِّ بـنِ حُسَيْن، فَأَهْوَى بيَدِه إلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زِرِّي الأَعْلَى، ثُمَّ نزَعَ زِرِّي الأَسْـفلَ، ثُـمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، وأنَا يَوْمَئذٍ غُلاَمٌ شَابٌّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ أخِي، سَـلْ عَمَّا شِئْتَ، فَسَأَلْتُهُ وَهُوَ أعْمَى، وحَضَرَ وَقْتُ الصَّلاَة، فَقَامَ فِي نَسَاجِه مُلْتَحِفًا بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِه رَجَعَ طَرَفَاهَا إلَيْه مِنْ صِغَرِهَا، ورِدَاؤُهُ عَلَى الْمِشْجَب، فَصَلَّى بِنَا، فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ بِيَدِه فَعَقَدَ تِسْعًا فَقَالَ :

« إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ ، ثُمَّ أَذَّنَ فِـي النَّـاسِ فِـي الْعَاشِرَةِ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْـتَمِسُ أنْ يَـأْتَمَّ

1 – حسن : [ص. جه : ٢٣٣١] ، جه (٢/٩٦٢/٢٨٨٣) ، د(٥/١٥٧/١٧١٦) الجملة الأولى فقط .

2 – م (٢/٨٨٦/١٢١٨). وهذه زيادة على الخطبة ، تتميمًا للفائدة .

برَسُولِ اللهِ ﷺ ويَعْمَلَ مثْلَ عَمَلِه ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بنْ أَبي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قَالَ : « **اغْتَسلي وَاسْتَثْفري بِثَوْبٍ وأَحْرِمِي** » . فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ في الْمَسْجِد ثُمَّ رَكِبَ القَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى البَيْدَاءِ نَظَرَتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِه مثْلُ ذَلكَ، وَعَنْ يَسَارِه مثْلُ ذلكَ، وَمِنْ خَلْفه مثْلُ ذَلكَ، وَرَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْه يَنْزِلُ الْقُرآنِ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَه، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحيد : « **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إنَّ الْحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ** »، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذا الَّذِي يُهِلُّونَ بِه، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ ، وَلَزِمَ رَسُولُ الله ﷺ تَلْبِيَتَهُ .

قَالَ جَابرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَسْنَا نَنْوِي إِلاَّ الْحَجَّ ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، فَرَمَلَ ثَلاثًا، وَمَشَى أَرْبعًا ، ثُمَّ نفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْه السَّلامُ فَقَرَأَ: ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ [البقرة :١٢٥]، فَجَعَلَ المَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْت ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ : وَلاَ أَعْلَمُهُ ذَكَرَه إِلاَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « **كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ : قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** » ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرجَ إِلَى الصَّفَا، فَلَما دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّه** ﴾ [البقرة : ١٥٨] أَبْدأُ بِمَا بَدأَ اللهُ بِه ، فبَدأَ بِالصَّفَا فَرَقَى عَلَيْه حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقبْلَةَ فَوَحَّدَ اللهَ وكَبَّرَ وقَالَ : « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ** » . ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلكَ. قَالَ مثْلَ هَذَا ثَلاثَ مَرَّات . ثُمَّ نَزَلَ إِلَى المَرْوَة، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى ، حَتَّى إِذَا صَعِدْنَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا

فعَل علَى الصفَا، حتَّى إذَا كَانَ آخرُ طوَافه علَى المَـروَة فقَـالَ : « **لَـوْ أنِّـي استَقْبَلْتُ منْ أمْري مَا استَدْبَرْتُ لَمْ أسُقْ الْهَدْيَ وجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ منْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُحلَّ ولْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً** ». فقَامَ سُرَاقَةَ بْنُ مَالك بنْ جُعْشُم فقَالَ : يَارَسُولَ الله ، ألعَامنَا هَذَا أمْ لأبَد ؟ فشَبَّكَ رَسُولُ الله ﷺ أصَـابعَهُ وَاحـدَةً فـي الأُخْرَى وقَالَ : « **دَخَلَت العُمْرَةُ في الحَجِّ مرَّتَيْن ، لاَ بَلْ لأبَد أبَد** » .

وقَدمَ علَيٌّ منَ الْيَمَن ببُدْن النَّبيِّ ﷺ فوَجَدَ فَاطمَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهَا ممَّنْ حَلَّ ولَبسَتْ ثيَابًا صَبيغًا وَاكْتَحَلَتْ، فَأنْكَرَ ذَلكَ علَيْها، فقَالَتْ: إنَّ أبي أمَرَنـي بهَـذا، قَالَ: فكَانَ علَيّ يَقُولُ بالْعرَاق : فذَهَبْتُ إلَى رَسُول الله ﷺ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطمَـةَ للَّذي صَنَعَتْ ، مُسْتَفْتيًا لرَسُول الله ﷺ فيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ ، فَأخْبرتُهُ أنِّي أنْكَـرْتُ ذَلكَ عَلَيْهَا، فقَالَ : « **صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حينَ فَرَضْتَ الحَجَّ ؟ قَالَ : قُلْتُ: اللَّهُمَّ إنِّي أُهلُّ بمَا أهَلَّ به رَسُولُكَ . قَالَ : فإنّ مَعيَ الْهَدْيَ ، فَلاَ تَحلُّ** » . قَالَ: فكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْي الَّذي قَدمَ به علَيٌّ منَ اليَمَن والَّذي أتَى به النَّبيُّ ﷺ مائَـةً . قَالَ : فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا إلاَّ النَّبيَّ ﷺ ومَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْويَة تَوَجَّهُوا إلَى منًى ، فَأهَلُّوا بالْحَجِّ، ورَكب رَسُولُ الله ﷺ ، فصَـلَّى بهَـا الظُّهْرَ والْعَصْرَ وَالْمَغْربَ والْعشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَليلاً حَتَّى طَلَعَت الشَّـمْسُ، وَأمَرَ بقُبَّة منْ شَعْر تُضْرَبُ لَهُ بنَمرَةَ ، فَسَارَ رَسُولُ الله ﷺ ، وَلاَ تَشُكُّ قُـرَيْشٌ إلاَّ أنَّهُ وَاقفٌ عنْدَ المَشْعَر الْحَرَام، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ في الْجَاهليَّة، فَأجَـازَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى أتَى عَرَفَةَ فوَجَدَ القُبَّةَ قَدْ ضُربَتْ بنَمرَةَ فنزَلَ بهَا، حَتَّـى إذَا زَاغَت الشَّمْسُ أمَرَ بالْقَصْوَاء فرُحلَتْ لَهُ، فَأتَى بَطْنَ الوَادي فَخَطبَ النَّاس وقَالَ:

« **إنَّ دمَاءَكُمْ وَأمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَة يَوْمكُمْ هَذَا، في شَهْركُمْ هَذَا، في بَلَدكُمْ هَذَا، ألاَ كُلُّ شَيْء منْ أمْر الْجَاهليَّة تَحْتَ قَـدَمَيَّ مَوْضُـوعٌ، ودمَـاءُ الجَاهليَّة مَوْضُوعَةٌ ، وَإنَّ أوَّلَ دَم أضَعُ منْ دمَائنَا دَمُ ابْن رَبيعَةَ بن الْحَـارث،**

كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٍ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا ، رِبَا عَبَّاسِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّه ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُموهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ ، واسْتَحْلَلْتُمْ فُروجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحدًا تَكْرَهُونَه، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبرِّح، ولَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوف، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَن تَضِلُّوا بَعْدَهُ إنِ اعْتَصَمْتُمْ بِه كِتَابَ اللهِ ، وَأَنْتُم تُسْأَلُونَ عَنِّي فمَا أَنْتُمْ قَائِلُون ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ . فَقَالَ بِإِصْبَعِه السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُها إِلَى النَّاس : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ » .

ثُمَّ أَذَّنَ ثُمَّ أَقَام، فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا .

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِه الْقَصْوَاءَ إِلَى الصَّخْرَاتِ ، وجَعلَ حَبْلَ الْمُشَاة بَيْنَ يَدَيْه، واسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فلَم يَزَلْ واقِفًا حَتَّى غرَبتِ الشَّمْسُ، وذَهَبَت الصُّفْرَةُ قَليلاً حَتَّى غابَ الْقُرْصُ، وأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَه، وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِه، وَيَقُولُ بِيَدِه الْيُمْنَى : أَيُّها النَّاسُ ! السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ ، كُلَّمَا أَتَى جَبَلاً مِنَ الْجِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلاً حَتَّى تَصْعَدَ، حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّح بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ .

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ ووَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًا ، فدَفَع قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وأَرْدَفَ الْفَضْلَ بن عَبَّاسٍ، وَكَانَ رَجُلاً حَسَنَ الشَّعْرِ، أَبْيَضَ، وَسِيمًا ، فَلَمَا دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّتْ بِه ظُعُنٌ يَجْرِينَ فَطفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ ، فوَضَعَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَـى الشِّـقِّ الآخَـرِ يَنْظُر، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ عَلَى وَجْـهِ الْفَضْـلِ يَصْـرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ. حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ ، فَحرَّكَ قَليلاً ، ثُـمَّ سَـلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى ، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْـدَ الشَّجَرةِ فرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْها ، حَصَـى الْخَـذْفِ ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلاثًا وَسِـتِّينَ بِيَـدِه، ثُـمَّ أَعْطَى عَلِيًا فنَحَرَ مَا غَبرَ، وأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِه ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُـلِّ بدَنـةٍ بِبُضْـعَةٍ فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ فَطُبِخَتْ ، فَأَكَلا مِنْ لَحْمِها ، وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِها .

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْـرَ ، فَـأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ فَقَالَ : « **انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب ، فَلَـوْلاَ أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ ، فَنَاوَلُوُه دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ** » .

قال الإمامُ النوويُّ – رحمه اللهُ – فِي شَرْحِ مسلمٍ (٨/١٧٠) :

" وهو حديثٌ عظيم ، مُشْتَمِلٌ على جُمْلَةٍ منَ الفوائد ، ونَفائسَ منْ مُهمَّاتِ الْقَواعد ، قال القاضي : وقد تكلَّم النَّاسُ على ما فيه من الفقْه وأكْثَرُوا، وصنَّف فيه أبو بكر بنُ المنْذرِ جزءًا كبيرًا ، وخَرَّج فيه من الفقه مائةً ونيِّفًا وخَمْسِـينَ نَوْعًا ، ولَوْ تُقُصِّيَ لزيِد على هذَا الْقَدْرِ قريبٌ منه " . أ. هـ.

هَذِه صِفَةَ الحجِّ كما فعلَها رسُولُ الله ﷺ ، وقدْ قـالَ : « **خُـذُوا عنِّـي مَناسِكَكُم** » .

إلاَّ أنَّ الحجَّ كغَيرِه منَ العبادَاتِ تنْقسِمُ أعمالُه إلى : أرْكـانٍ، وواجبـاتٍ، وسُنَنٍ .

أركان الحج :

١ – النية : لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة:٥] . ولقوله ﷺ : « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** » [(١)].

٢ – الوقوفُ بعرَفَةَ ، لقوله ﷺ : « **الْحَجُّ عَرَفَةُ** » [(٢)]. ولحديث عُرْوَةَ الطَّائيِّ قال : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِالْمُزْدَلِفَةِ حِينَ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُ مِنْ جَبَلِ طَيِّئٍ أَكْلَلْتُ رَاحِلَتِي ، وَأَتْعَبْتُ نَفْسِي ، وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ حَبْلٍ إِلاَّ وَقَفْتُ عَلَيْهِ ، فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **مَنْ شَهِدَ صَلاتَنَا هَذِهِ وَوَقَفَ مَعَنَا حَتَّى نَدْفَعَ وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَقَدْ أَتَمَّ حَجَّهُ وَقَضَى تَفَثَهُ** » [(٣)].

٣ – الْمَبِيتُ بِمُزْدَلِفَةَ حتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ، لِقَوْلِهِ ﷺ لِعُرْوَةَ الطَّائي : « **مَنْ شَهِدَ صَلاتَنَا هَذِهِ وَوَقَفَ مَعَنَا حَتَّى نَدْفَعَ وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَقَدْ أَتَمَّ حَجَّهُ وَقَضَى تَفَثَهُ** » [(٣)].

٤ – طَوَافُ الإِفَاضَةَ : لقوله تعالى : ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [الحج :٢٩] .
وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : " حَاضَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ بَعْدَمَا أَفَاضَتْ قَالَتْ : فَذَكَرَتُ ذلك لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « **أَحَابِسَتُنَا هِيَ** » ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهَا قَدْ أَفَاضَتْ، وَطَافَتْ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ حَاضَتْ بَعْدَ الإِفَاضَةِ. قَالَ:« **فَلْتَنْفِرْ إِذَنْ** »[(٤)].

---

1 – سبق .
2 – صحيح : [ص. جه : ٢٤٤١] ، ت (٢/١٨٨/٨٩٠)، نس (٥/٢٦٤)، جه (٢/١٠٠٣/٣٠١)، د (٥/٤٢٥/١٩٣٣) .
3 – صحيح : [ص. جه : ٢٤٤٢] ، ت (٢/١٨٨/٨٩٢)، د (٥/٤٢٧/١٩٣٤)، جه (٢/١٠٠٤/٣٠١٦)، نس (٥/٢٦٣) .
4 – متفق عليه : خ (٣/٥٦٧/١٧٣٣)، م (٢/٩٦٤/١٢١١)، د (٥/٤٨٦/١٩٨٧)، ت (٢/٢١٠/٩٤٩)، جه (٢/١٠٢١/٣٠٧٢)، نس (١/١٩٤).

فَدلَّ على أنَّ هذا الطَّوافَ لابُدَّ منْه ، وأنَّه حابسٌ لمَنْ لمْ يأْتِ به .

٥ – السَّعيَ بيْنَ الصَّفا والْمَرْوَةِ : لِسَعْيِه ﷺ وقَوْله : « **اسْعَوْا فَإِنَّ اللَّـــهَ كَتَــبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ** » (١).

وَاجِبَاتُ الْحَجِّ :

١ – الإحْرَامُ مِنَ الْمِيقَاتِ : بأَنْ يتجرَّد مِنْ ثيابه، ويَلْبسَ مَلابِسَ الإحْرام، ثُــمَّ يَنْويَ قائلاً : لَبَّيكَ اللَّهمَّ بعُمْرَةٍ، أوْ لَبَّيكَ اللَّهمَّ حَجَّةً وعُمْرَةً .

٢ – الْمَبِيتُ بِمَنَى فِي ليالي التَّشْرِيقِ : « لأنَّ رسول الله ﷺ رَخَّــصَ لِرِعَــاءِ الإِبِلِ فِي الْبَيْتُوتَةِ ، يَرْمُونَ يَوْمَ النَّحْرِ ، ثُمَّ يَرْمُونَ الْغَدَ وَمِنْ بَعْــدِ الْغَــدِ بِيَوْمَيْنِ ، وَيَرْمُونَ يَوْمَ النَّفْرِ » (٢).

٣ – رَمْيُ الْجِمَارِ مُرتَّبًا : بأنْ يرميَ يوْمَ النَّحر جمرةَ العقَبةِ بسَــبْعِ حصَــيات، ويَرْميَ الجَمراتِ الثَّلاثَ في أيامِ التَّشْرِيق، كُلَّ يوْم بعْدَ الزَّوالَ، كُلَّ جَمْرةٍ بسَبْعِ حصَيات، يبْدأُ بالجَمْرةِ الأُولى ، ثُمَّ الوسْطَى ، ثُمَّ جَمْرةِ العقَبة .

* * *

1 – صحيح : [الإرواء : ١٠٧٢] ، أ (١٢/٧٦/٢٧٧)، كم (٤/٧٠) .

2 – صـــــحيح : [ص. جـــــه : ٢٤٦٣] ، د (٥/٤٥١/١٩٥٩)، ت (٢/٢١٥/٩٦٢)، جـــــه (٢/١٠١٠/٣٠٣٧)، نس (٥/٢٧٣).

ثانيًا : الإيمـــان
الرُّكنُ الأوّل : الإيمانُ بالله

الإيمانُ باللهِ عزَّ وجلَّ على أربَع مراتب : المرتَبةُ الأولى : هي الإيمـــانُ بوجُودِ الله، المرتَبَةُ الثَّانية : الإيمانُ بربُوبيَّة الله ، المرتَبَـــةُ الثَّالثَـــةُ : الإيمـــانُ بألوهيَّةِ الله ، المرتَبَةُ الرَّابعة : الإيمانُ بأسماءِ اللهِ تَعالى وصفَاته .

أمَّا الإيمانُ بوجُودِ اللهِ تعالى فإنَّ العُلماءَ قد استدلُّوا علَيْه بأربَعةِ أنْواعٍ من الأدلَّة ، هي : العقْلُ ، والفطْرَةُ ، والحسُّ ، والشَّرْع .

أمَّا الاستدْلالُ بالعقْلِ والشَّرْعِ على وجُودِ الله : فإنَّ النَّاظرَ فـــي ملَكُـــوتِ السَّمواتِ والأرْض، يجدُ فيهما الكثيرَ والكثيرَ منَ الآياتِ الدَّالَّة على وجُـــودِ الله سُبْحانه وتعالى . فهذه السَّمواتُ بارْتفاعِها وشدَّةِ بنَائها، ومَا فيها مـــنْ كَواكـــبَ ونُجومٍ تسيرُ بانْتظامٍ منْ غيْرِ خَللٍ ولا صِدَام ، بل ﴿ **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْـبَحُونَ** ﴾ [يس: ٤٠]. هذه السَّمواتُ بارْتفاعها وإمْساكِها عن الوُقُوعِ على الأرض، تدلُّ على أنَّ لهذا الكونِ مُدبِّرًا، لأنَّ العقلَ السَّليمَ يُحيلُ أنْ تُوجدَ هذه السَّمواتُ ومـــا فيهـــا بنَفسِها كما يُحيلُ أن تُوجَد منْ غيْرِ مُوجد ، وهذَا هو ما قرَّره اللهُ سُبْحانه بقوله : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾ [الطور :٣٥] . والجـــوابُ علـــى طرَفَي السُّؤالِ بالنَّفي ، أمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ ؟ لا ، لأنَّه لا يُمكـــنُ للعـــدَم أن يُوجد. أمْ هُمْ الخالِقون ؟ أيضًا لا ، لأنَّ العدَم ليْس له من نفْسِه وجودٌ ولا عدم، فلابُدَّ إذًا مِنْ خالق، ذلكَ الخالِقُ هو اللهُ سبحانه وتعالى .

هذه الأرضُ وما فيها وما عليها، هذه الأرْضُ باتِّساعها وثُبوتِهـــا، ومـــا علَيْها مِنْ جبال، وما يجْري فيها منْ بحارٍ وأنْهار، وما يخرُجُ فيها مـــن زُروعٍ

وثمار، كُلُّ ذلكَ مِنْ صُنْع مَنْ ؟ كُلُّه مِنْ صُنْعِ ربِّي : ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل :٨٨] .

والمتأمِّل في كتابِ ربِّنا يجدُ الربَّ عزَّ وجلَّ كثيرًا ما يُشيرُ إلى هذه الآيات، ويأمرُ بالنَّظرِ المتأمِّل فيها :

يقول تعالى : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا(٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا(٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا(٢٩) وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا(٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا(٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ [النازعات:٢٧-٣٣].

ويقول سبحانه : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ(٣) ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ(٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك :٣-٥] .

ويقول تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ(٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ(٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص :٧١-٧٣] .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر:٤١] .

ويقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(٦٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ

لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ(٦٤) أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْـرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّـاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج:٦٣-٦٥] .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ(١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران :١٩٠، ١٩١] .

ويقول تعالى : ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس :١٠١] .

ويقول تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥] .

ويقول تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج :٤٦] .

ويقول تعالى : ﴿ أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية :١٧-٢٠] .

أفلا ينظُرونَ ويتأمَّلونَ ويتدبَّرون ، فيعلَمُون أنَّ لهذا الكوْن إلهًا ؟؟ بهـذا كان العربُ قديمًا يستدلُّون على الله سبحانه وتعالى ، ولذا أُثِرَ عن بعْضهم أنَّـه قيلَ له : بِمَ عرَفْتَ ربَّك ؟ فقال : إنَّ البعْرَ يدلُّ على البعير ، وإنَّ الأثَـرَ يـدلُّ على المسير ، فسماءٌ ذاتُ أبْراج ، وأرْضٌ ذاتُ فِجاج ، وبِحَـارٌ ذاتُ أمْـواج ،

أفلا يدلُّ ذلكَ على وُجودِ اللَّطيفِ الْخبير ؟؟ .

ورُويَ عن الإمامِ أبي حنيفة رضيَ اللهُ عنْه أن رجالاً جادلوه في وجُـودِ الله، وطَلَبُوا منْه المُناظَرةَ في ذلك ، فلما كانَ الموْعدُ تأخَّر عنهم قليلاً ثم أتاهم، فسألوه عن تأخُّره، فقال : شغلني أمْرٌ عظيم . قالوا : وما هو ؟ قـال : رأيْـتُ سفينةً في دجْلَة تغْدُو وتَرُوح، منْ غيْر قائدٍ يقودُها، وتُحمّلُ وتُفْرِغُ مـنْ غيْـرِ عُمَّال، فقُمْتُ أُفكّر في أمْرِها. فقالوا : يا أبا حنيفةَ هذا غيْرُ معْقُول ، فقال : فإذا كنتُم لا تعْقلونَ أن تغْدُوَ سفينةٌ وتروحُ منْ غيْرِ قائد، فكيْفَ تعْقلُون أنْ تكونَ هذه السَّمواتُ وهذه الأرْضُ وما فيها منْ غَيْر مُدبِّر ؟ ﴿ فَبُهِتَ الَّـذِي كَفَـرَ.. ﴾ .. **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّـيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّـذِي كَفَـرَ وَاللَّـهُ لا يَهْـدِي الْقَـوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة:٢٥٨] .

إنَّ التعرُّفَ على الله سبحانه لا يحتاجُ إلى إجراءِ بحُوثٍ وتَجارُبَ، وإنَّمـا فقط يحتاجُ إلى تجْريد القَلْبِ من الهوى، والإقْبالِ علـى النَّظـرِ فـي ملَكُـوتِ السَّموات والأرْضِ بقَلْب سليمٍ مُستَرْشد، باحثٍ عن الحقيقة، فمَنْ فعلَ ذلك أخـذَ اللهُ بيده، وأراه من آياته، التي تجعلُه يُؤْمنُ بالله ربـا، **﴿ وَفِـي الأَرْضِ آيَـاتٌ لِلْمُوقِنِينَ(٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾** [الذاريات :٢٠، ٢١] .

أعميان أنتم لا ترون ما حولكم ومافي أنفسكم من آيات قدرة الله ، **﴿ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ(١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ(١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ(١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ(٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ(٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ(٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَـرَهُ(٢٣) فَلْيَنْظُرْ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَـاءَ صَـبًّا(٢٥) ثُـمَّ شَـقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا(٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْـبًا(٢٨) وَزَيْتُونًـا وَنَخْـلاً(٢٩) وَحَـدَائِقَ**

غُلْبًا(٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ [عبس:١٧-٣٢]. ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ(٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ(٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ(٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ(٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ(٦٢) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ(٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ(٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ(٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ(٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(٦٨) أَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ(٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ(٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ(٧١) أَأَنْتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ(٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ(٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة :٥٨-٧٤] .

وأما الاستِدْلالُ بالفِطْرَةِ والحِسِّ على وجُودِ الله ، فإنَّ كُلَّ إنْسَانٍ إذا نزَلَتْ به نازِلَةٌ وعجَزَ عنْ دَفْعِها وجَدَ نَفْسَهُ مُنْدفِعًا إلى النِّداءِ والاستِغَاثَةِ باللهِ وحْدَه دُونَ سواه، فيقولُ مُضْطرًّا : يا الله ، فإذا به يُجابُ إلى ما سأله، فيُكشَفُ عنه ما سألَ كشْفَه ، أو يُعْطَى ما طلَبه، وهذا شيءٌ محْسُوسٌ ومُجرَّبٌ، وهو دليلٌ على وجود اللهِ، عزَّ وجل، وفي ذلكَ يقولُ تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

وهكذا يجد الإنسانُ نفْسَه مُضْطَرًّا إلى الإيمانِ بوجُودِ الله، وهو أوَّلُ مرتَبةٍ مِنْ مراتبِ الإيمانِ .

أما المرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ وهي الإيمانُ بربُوبيَّةِ الله، فإنَّ معنى الإيمانَ بربُوبيَّةِ الله الإيمانُ بأنَّ اللهَ وحْدَه هو الخالقُ المالكُ المدبِّر، فلا خالقَ لهذا الكونِ ولِمَنْ فيه إلا اللهُ عزَّ وجل، ولا مَالِكَ لهذا الكونِ وما فيه إلا اللهُ عزَّ وجل، ولا مُدَبِّرَ لأمْرِ هذا الكونِ إلا اللهُ عزَّ وجل : ﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران:٢٦، ٢٧].

فاللهُ وحْدَهُ هو الخالقُ، وهو المالكُ، لا خالقَ غَيْرُه، ولا مَالكَ سوَاه، ومَنْ ملَك منَ المَخْلُوقينَ شيئًا فإنَّما هو مُلْكٌ على وَجْه العارية، لا مُلْكًا حقيقيًا، ولـذا فإنَّ الإنْسانَ إذا ماتَ تركَ كُلَّ شيءٍ ملَكه ، ونُزِعَتْ ملْكيَّته ، ثُمَّ يُبْعَثُ يوْمَ القيامة ولَيْسَ مَعهُ شَيْءٌ ممَّا ملَكه. قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾ [الأنعام :٩٤] . فالمُلْكُ الحقيقيُّ لله ، والمَالكُ في الحقيقَة هو الله، والمَلكُ الحَقُّ هو سبحانه ، ولذا كان النبيُّ ﷺ أحيانًا يقرأ : ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ وأحيانًا يقرؤها ﴿ **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ (١). ويوْمَ القيامة يطْوِي اللهُ السَّموات والأرْضَ ثُمَّ يقول : « **أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ** »(٢)؟ ﴿ **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ [غافر :١٦] .

ومنَ الإيمانِ بالرُّبوبيَّة : الإيمانُ بأنَّ اللهَ وحْدَهُ هو الَّذي يدبِّرُ أمْرَ هذا الكَوْن : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ** ﴾ [يونس :٣] .

وقديمًا قيلَ لأعرْابيٍّ : بِمَ عَرَفْتَ ربَّك ؟ قال : بنَقْضِ العزَائم وصَرْفِ الهِمَم .

كثيرًا ما يَعْزِمُ الرَّجلُ منَّا على أمرٍ ثمَّ يُصْرَفُ عنه، منْ غيْرِ أنْ يصرفه

1 – صحيح : [صفة الصلاة :٦٩] كم (٢/٢٣٢) .
2 – هذا معنى حديث رواه : خ (٨/٥٥١/٤٨١٢).

عنه أحد، وكثيرًا ما يخرُج الإنْسانُ من بيْته قاصدًا ناحيةً ما، ثم ينْصَرِفُ عنْهــا مِنْ غيْرِ أن يصْرِفَه عنْها أحد ، وهذا دليلٌ على أنَّ الذي يُدبِّرُ الأمْرَ هو الله، فما شاءَ اللهُ كان وإنْ لم يشأ العباد، وما لم يشَأْ لم يكنْ وإنْ شاء العباد.

المرْتَبَةُ الثَّالثَة : الإيمانُ بألُوهيَّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فالإيمـــانُ بوجـــودِ الله ، والإيمانُ بربوبيَّتهِ لا ينْفعانِ صاحِبَهما مالم يكنْ مُقرًّا بألوهيَّةِ اللهِ عزَّ وجل ، لقد كان المشْرِكونَ يعْترِفُونَ بوجودِ الله، ويُقِرُّون بربوبيَّته، فلما قيلَ لهم : قُولُـــوا لا إلَه إلاَّ الله، أنكرُوا ذلكَ وقالوا : ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًـا وَاحِـدًا** ﴾ [ص:٥] ، فلــم ينْفَعْهُمْ إيمانُهم بوجودِ الله ورُبُوبيَّته لما أنكَـــرُوا ألوهيَّتَـــه ، وقـــال اللهُ عـــنهم : ﴿ **فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ**(٣٣) **إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِـالْمُجْرِمِينَ**(٣٤) **إِنَّهُـمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ**(٣٥) **وَيَقُولُونَ أَئِنَّـا لَتَـارِكُوا آلِهَتِنَـا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ** ﴾ [الصافات:٣٣-٣٦] .

ومعْنى الإيمانِ بألوهيَّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ الاعتقادُ والاعترَافُ والإقْرَارُ بأنَّ اللهَ وحْدَه هو المستحِقُّ للعبادَةِ دُونَ سواه ، فكما خلَق وحْدَه ، يجبُ أن يُعْبَد وحْدَه ، فيجبُ على المسْلِم أن يَعْرِف ذلك ، وأن يحْذَرَ مِنْ صَرْفِ أية جزئيَّةٍ من العبادةِ لغيْرِ الله ، فإنَّ هذا الصَّرْفَ شرْك ، واللهُ يقول : ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّـهِ فَقَـدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة :٧٢] .

أما المرْتَبَةُ الرَّابعَةُ من مراتَبِ الإيمانِ فهي الإيمانُ بأسْماءِ اللهِ وصِفَاته ، اللهُ سبْحانه ذَات ، وكُلُّ ذاتٍ لابُدَّ لها من أسْمَاءَ وصفات ، وأسْـمَاءُ اللهِ تعـالى وصِفَاتُه توقيفيَّة ، لا يجوزُ إطْلاقُ اسْمٍ على الله عز وجل مالَمْ يُسَمِّ اللهُ نفْسَه بهذا الاسم، أوْ يسمّه به رسولُه ، وكذلك الصفات ، وقد أثْبتَ اللهُ تعالى لنفْسه أسماءً وصفاتٍ ، في مُحْكَمِ كتابِه أوْ على لسانِ رسُوله ، والواجبُ علينا الإيمانُ بهــا ،

من غيْرِ تمْثيلٍ ولا تعْطيل، ولا تكْييفٍ ولا تَشْبيه، وقوفًا عنْد قَوْلِه تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١، وانظر ص: ٥] .

رضينا بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً .

* * *

الركن الثاني : الإيمان بالملائكة

إنَّ الإيمانَ بالملائكةِ رُكْنٌ مِنْ أركانِ الإيمان، كما ذكــرَ النبــيُّ ﷺ فــي الحديث الذي معنا. وقد جعل اللهُ تعالى الإيمانَ بالملائكةِ مِنْ أهــمِّ خصــائص المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْــرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِــرِ وَالْمَلائِكَــةِ وَالْكِتَــابِ وَالنَّبِيِّــينَ...** ﴾ [البقرة:١٧٧] . وقال تعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُــونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...** ﴾[البقرة :٢٨٥]. وبيَّن سبحانه أنَّ الكفــرَ بالملائكةِ كُفْرٌ به، وهو ضلالٌ بعيد، فقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا** ﴾ [النساء:١٣٦]. وليس المُرادُ الكُفْرَ بهذه الجملة ، وإنَّما المُرادُ الكُفْرُ بواحدٍ منها.

والملائكة عالَمٌ منْ عوالمِ الغَيْب، لا نَعْرِفُ عنْه إلاَّ ما عرّفناه ربُّنا سبحانه في كتابه الكريم أوْ على لسانِ رسُولِه ﷺ . وممَّا عرَفْناه عن الملائكةِ كما جــاء في الوَحْيَيْن القرآنِ والسُّنَّةِ هذه الأمور :

ممَّ خُلِقَتِ الملائكة؟ ما هي صفاتُهم الخِلْقيَّة ؟ وما هي صــفاتُهم الخُلُقيَّــة؟ ماهي علاقتهم باللهِ سبحانه؟ وماهي علاقتُهم بالكوْن؟ وماهي علاقتُهم بالإنْسان؟

أما عن أصل خلقهم فإنهم خُلقوا من نور، كما قال ﷺ : « **خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ** » [1].

---

1 – م (٢٩٩٦/٢٢٩٤/٤).

وأمَّا صفاتُهم الخِلْقيَّة : فهم خَلْقٌ عظيم ، ذُو أجْنحَة مثْنَى وثُلاث ورُبَاعَ وأكْثَرَ منْ ذلك، قال تعالى : ﴿ **الْحَمْدُ للَّه فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** ﴾ [فاطر : ١] . وقال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم:٦] .

ولقد رأى النبيُّ ﷺ جبريلَ عليْه السَّلامُ على أصْلِ خِلْقَته الَّتي خلقَه اللهُ عليْها، لَهُ ستُّمائَة جناحٍ قد سدَّ بها الأُفق، رآه كذلكَ مرَّتيْن، الأولى في مكَّة منْ جهَة أجْيَاد،[1] والثَّانيةُ عنْدَ سدْرَة المُنْتَهى ، ليْلَةَ المعْراج ، كما قَالَ تعَالى : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى** ﴾ [النجم :١٣، ١٤] .

وقال ﷺ : « **أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَةِ اللَّه تعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ : أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِه إِلَى عَاتِقِه مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ** » [2].

وهم مع عظَمة أجْسامهم أجْسامٌ جميلةٌ كريمةٌ ذاتُ صورةٍ حسنة، قَال تعالى عن جبريلَ عليه السلام : ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى** ﴾ [النجم :٥، ٦] . قال ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنْهما: ذُو مرَّةٍ أي ذُو منْظرٍ حسَنٍ[3]. وجمالُ الملائكة مقرَّرٌ عنْد الناسِ ومعْلُومٌ لدَيْهم، حتَّى إنَّهم إذَا أرادُوا المُبالغةَ في وصْف جمالِ أحدٍ من النَّاس شبَّهوه بالملائكة، وهذا هو الذي صرَّحَتْ به النِّسْوَةُ اللاتي رأيْنَ يوسفَ عليه السلام : ﴿ **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾ [يوسف:٣١] .

---

1 - م (١/١٥٩/١٧٧)، ت (٥/٦٩/٣٣٣٢) .
2 - صحيح : [ص. د : ٣٩٥٣] ، د (١٣/٣٦/٤٧٠١) .
3 - تفسير ابن كثير (٤/٤٢٧) .

أما صفاتُهم الخُلُقية : فإنَّ اللهَ سبْحانَه وصَفهم بأنَّهم كِـرَامٌ بـررَة، فقـال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ(١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ(١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ(١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس :١١-١٦] .

ومن أخصِّ أخْلاقِهمُ الحَياء :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْه – أَوْ سَاقَيْه – فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَتَحَدَّثَ . ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ : دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ ، وَلَمْ تُبَالِه . ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِه ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ ! فَقَالَ : « **أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلائِكَةُ** » (١).

والمَلائِكَةُ لا يُوصَفُونَ بذكُورَةٍ ولا أُنوثَة ، ولقد ضلَّت العَرَبُ إذْ جعلَت الْمَلائِكَةَ إناثًا، فكذَّبهم اللهُ سبْحانه، وبيَّن أنَّهم مَسْؤُولُونَ عنْ هذَا الَّذِي قَالُوه، فقال سُبْحانه : ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** ﴾ [الزخرف:١٩] .

والملائكةُ لا يأكلُون ولا يشْربون ، قال تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ(٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ(٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ(٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ(٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ** ﴾ [الذاريات :٢٤-٢٨] .

---

1 – م (٤/١٨٦٦/٢٤٠١) .

علاقةُ الملائكةِ بالله :

الملائكةُ عبادٌ من عباد الله ، مخلوقون ، مملوكونَ ، مربُوبون، لا يملكُونَ لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ(٢٦) لايَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ(٢٧) يَعْلَمُ مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَاخَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ(٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾[الأنبياء:٢٦-٢٩]

الملائكةُ خلقٌ منْ مخلُوقات الله ، فطرَهم اللهُ على العبَادة والطَّاعة، لايعْرِفُون المعْصيَة، ولا تشْتَهي أنفسُهم الحرام، قال تعالى : ﴿ **عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم:٦]. فهم مشغُولُونَ بعبادة الله أبدًا ، ليلَ نهار، لا يملُّون منَ العبادة، ولا يتْعَبُون منها، قال تعالى : ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ** ﴾ [الأنبياء :٢٠] . وقال تعالى : ﴿ **فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ** ﴾ [فصلت:٣٨] .

ومِنْ عبادتهم : التَّسبيحُ بحَمْدِ الله :

كما قال تعالى : ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ** ﴾ [الأنبياء :٢٠]. وكما قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** .. ﴾ [غافر:٧] . وقال تعالى : ﴿ **وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** ﴾ [الزمر:٧٥] .

ومِنْ عبادتهم : الصَّلاة :

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِه، إِذْ قَالَ لهم : «**أَتَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟**» قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: « **إِنِّي لأَسْمَعُ أَطِيطَ**

السَّمَاء، وَمَا تُلامُ أنْ تَئِطَّ، وَمَا فِيهَا مَوْضِــعُ شِــبْرٍ إلاَّ وَعَلَيْــه مَلَــكٌ سَــاجِدٌ أوْ قَائِمٌ»[١] ، وهُمْ يهْتمُّونَ بتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ في الصَّلاة، ولذا قال اللهُ عــنْهم : ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** ﴾ [الصافات :١٦٥] . وكانَ النبيُّ ﷺ يأمرُ أصْحابَه بتَسْوِيَةِ صُفُوفِهم ، كما تُسوِّي المَلاَئِكَةُ صُفُوفَها، فجاء عنْه ﷺ : « **ألاَ تَصُــفُّونَ كَمَــا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟** » قَالُوا : وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ قَــالَ : « **يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ** » [٢].

ومِنْ عبادتهم الحجَّ :

ولكن لا يحجُّون بيْتَ اللهِ الحرامَ في الأرْض، وإنَّما يحجُّون البيْتَ المعْمُورَ في السَّماء، ولذا قال ﷺ في حديث المعراج : « **ثُمَّ رُفِعَ بِي إِلَى الْبَيْتَ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لاَ يَعُودُونَ إِلَيْه آخِرَ مَا عَلَيْهِم** » [٣].

وقد أقْسم ربُّنا سبْحانه بالبَيْت المعْمُور، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَالطُّورِ**(١) **وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ**(٢) **فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ**(٣) **وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ** ﴾ [الطور :١-٤] .

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ البيْتَ المعْمُورَ فوْقَ السَّماءِ السَّابعة حِيَالَ الكعْبَــة، حتَّى قالَ ﷺ : « **لَوْ خَرَّ لَخَرَّ عَلَيْها** » [٤].

هذه هي علاقَةُ الملائكة باللهِ تعالى ، علاقَةُ المخْلُــوقِ بالخَــالق، علاقَــةُ المرْبُوبِ بالربِّ سبْحانه، علاَقَةُ العبْدِ بسيِّدِه ومالكه وفاطِره ، فهم يُسبِّحُونَ بحَمْدِ ربِّهم ، منهم القائم ، ومنهم الراكع ، ومنهم الساجد، لا يسْأمون ولا يفْتُرون.

---

1 – طب (٣١٢٢/٢٢٤و ٣/٢٢٥) ، والطحاوي في " مشكل الآثار (٥٣١٩/٣٣٧/٧) .
2 – م (٤٣٠/٣٢٢/١)، د (٦٤٧/٣٦١/٢)، جه(٩٩٢/٣١٧/١)، نس (٢/٨٣) .
3 – متفق عليه : خ (٢٢٠٧/٣٠٢/٦)، م (١٦٢/١٤٥/١)، نس (١/٢١٧) .
4 – تفسير الطبري (٢٧/١٧).

علاقَةُ الملائكةِ بالكَوْنِ :

أمَّا علاقَةُ الملائكة بالكَوْنِ فهُم الَّذين يُدبِّرونَ الكَوْنَ، وكُلُّ حركَةٍ في الكَوْنِ فإنَّما هي ناشئَةٌ عنْهم، كما قال تعالى : ﴿ **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْـرًا** ﴾ [النازعـات :٤] . وقال : ﴿**فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا** ﴾ [الذاريات :٤] . وأصحُّ أقْوالِ المفسِّرين في الآيتَـيْنِ أنَّ المرادَ بهما الملائكة، فاللهُ سبْحانَه وتعالى قـد وكَّـل بالسَّـمواتِ ملائكـة، وبالسَّحابِ والمطَرِ ملائكة، وبالجبالِ ملائكة، ووكَّل بـالرَّحمِ ملائكـة تتـولَّى الإشْرَافَ على النُّطْفَةِ من ساعة استِقْرارِها في الرَّحم حتَّى تخْرجَ منه خلْقًا آخر. ووكَّل سبحانه بالنَّبَاتِ ملائكة، فكلُّ ما يكونُ في السَّموات أوْ في الأرْضِ فإنَّمـا هو بفعْل الملائكة، لا يفْعَلُونَه ابتداءً ولا استقلالاً ، وإنَّما اللهُ عزَّ وجلَّ هو الذي يُدَبِّرُ الأمْرَ ثُمَّ يأمرُ الملائكةَ بتَنْفيذِه على وفْقَ ما أراده : ﴿ **لا يَسْبِقُونَهُ بِـالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنبياء :٢٧] .

عَلاقَةُ الملائكة بالإنْسان :

إنَّ علاقَة الملائكةِ بالإنْسانِ علاَقةٌ وثيقةٌ جدًا، تبدأُ مِنْ حينِ يكونُ الإنْسانُ نُطْفَةً في رَحمِ أُمِّه، وتستمرُّ حتَّى يتبوَّأ مقْعَدَه في الجنَّة أو في النَّار، ولا تَنْقطِـعُ بعْدَ ذلك :

ومِنْ علاقَةِ الملائكة بالإنْسانِ أنَّهم يحْفَظُونَهُ مِنْ بيْنِ يديْه ومنْ خلْفه، كما قال تعالى : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْـرِ اللَّـهِ** ﴾ [الرعد: ١١] . كما أنَّ للإنْسانِ حفظةً غيرَ هؤلاءِ يحفَظُونَ أعمالَه : ﴿ **عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**(١٧) **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيـدٌ** ﴾ [ق:١٧، ١٨] . فأنْتَ يا عبْدَ الله تَمْشي بيْنَ أرْبعة أمْلاك : واحد بيْنَ يديْك ، وثانٍ مِنْ خَلْفـك ، وثالثٍ عن يمينك ، ورابعٍ عن شمالِك ، فأمَّا اللَّذانِ مِنْ بَيْنِ يَديْكَ ومِـنْ خلْفِـكَ

فإنَّهما يحْفظانكَ مِنْ كُلِّ سوءٍ إلاَّ إذا قدَّر الله لك شيئًا فإنَّهما يتخليَّانِ عنْك ليُصيبَك ما كُتِبَ لك ، وأما اللَّذانِ عَنْ يمينكَ وشمَالكَ فيكتُبانِ أعْمالَك، أمَّا الَّـــذي عَـــنْ يمينِكَ فيكتُبُ حسنَاتِك ، وأمَّا الَّذي عن شِمَالكَ فيكتُبُ سيِّئاتكَ .

وهناك مَلَكٌ خامسٌ وهو القرينُ الذي لا يفارقُك أبدًا، ووظيفتُـــه أن يـــدلَّكَ على الخيْرِ ويُرشِدُكَ إليه، ويُذكِّرك به، كما جاء في الحديث عـــن النبـــيِّ ﷺ : « **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ قَـــالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَإِيَّايَ لَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَـــلاَ يَـــأْمُرُنِي إِلاَّ بِخَيْرٍ** » (١).

أَيْنَ تَسْكُنُ الْمَلائِكَةُ ؟

الملائكةُ يسْكنونَ السَّماء ، لقولِه تعالى : ﴿ **فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** ﴾ [فصلت :٣٨] . فوصفَ اللهُ الملائكةَ بأنَّهم عنْده، أي في السَّماء، ولكنَّهم ينزلُونَ إلى الأرْضِ لتَنْفيذِ مُهمَّاتٍ نيطَتْ بهم وَوُكلَتْ إلَـــيْهم، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ : « **أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَـــرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالى قَوْلَهُ:** ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ..**﴾[مريم:٦٤](٢).

فالملائكةُ يسكُنونَ السماء ، ولكنَّهم ينْزِلُون إلى الأَرْضِ إذا أَذِنَ اللهُ لهـــم، وَيَكْثر نُزُولُهم في مناسَبات خاصَّة ، منها : لَيْلةُ القَدْر ، قال تعـــالى : ﴿ **تَنَـــزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** ﴾ [القـــدر:٤]. ومنهـــا : نُـــزُولُهم لِحضُورِ مَجالسِ العِلْم ، كما قالَ ﷺ : « **وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِـــنْ بُيُـــوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَـــيْهِمُ السَّـــكِينَةُ ،**

1 - م (٤/٢٨١٤) .
2 - خ (٣٢١٨/٣٠٥/٦)، ت (٥١٦٧/٣٣٧/٤) .

وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » [١].

ومنها : نزولهم لاستماع قراءة القرآن ، كما جاءَ عَنْ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ : أَنَّه بَيْنَمَا هُوَ فِي لَيْلَةٍ يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ ، فَقَرَأَ ، ثُمَّ جَالَتْ ، فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا . قَالَ أُسَيْدٌ : فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي ، فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا. فقَالَ : فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي إِذْ جَالَتْ فَرَسِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ** » . قَالَ: فَقَرَأْتُ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ** » . فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ** » . قَالَ : فَانْصَرَفْتُ وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **تِلْكَ الْمَلائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ رَآهَا النَّاسُ لاَ تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ** » [٢].

كما تتنزَّلُ الملائكةُ لقَبْضِ الأرْوَاحِ ، ولتَبْشِيرِ المؤْمنينَ عنْدَ الموْت ، كما قالَ تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ(٣١) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ** ﴾ [فصلت :٣٠-٣٢] .

اللهم اجعلنا من أهل هذه البشرى .

* * *

1 - م (٢٦٩٩/٢٠٧٤/٤)، ت (٤٠١٥/٢٦٥/٤) بدون الجملة الأخيرة .

2 - متفق عليه : خ (٥٠١٨/٦٣/٩)، م (٧٩٦/٥٤٨/١) .

الركنان الثالث والرابع
الإيمان بالنبيين والكتب المنزلة على المرسلين

خلقَ اللهُ الخلْقَ ليعْبدُوه لا يُشْرِكُوا به شيئًا، أمرَهم ونَهاهم، وأحـلَّ لهـم وحرَّم عليهم ، وقد اقتَضتْ حِكْمتُه سبحانه وتعالى أن يصْطَفِيَ من البشَرِ نفَـرًا يبلِّغهم مُرادَه مِنْ عباده، ثُمَّ هم يبلِّغون أمُمَهم مُـراد الله مـنْهم ، إذْ لـيْسَ مـن المعْقُولِ أنْ يتَّصِلَ اللهُ بكلِّ فرْدٍ منَ الأفْراد ليقولَ له افْعَلْ كذا ولا تفْعَلْ كذا ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنْ النَّـاسِ ﴾ [الحـج:٧٥]، وقـال تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنـذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل:٢] . وقال تعـالى : ﴿ رَفِيـعُ الـدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَـوْمَ الـتَّلاقِ ﴾ [غافر:١٥] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى:٥١] .

وهؤلاءِ النَّفرُ الَّذينَ اصْطَفَاهم اللهُ مِنْ خَلْقِه لتبليغِ رسَالتِه إلى عبـاده هـم أفْضَلُ خلْقِ الله وأكْرَمُهم على اللهِ عزَّ وجل، وقد خصَّهم اللهُ بالاصْـطفاء لمـا علِمَهُ منْهم مِنْ جميلِ الصِّفاتِ ومحَاسنِ الأخْلاق ﴿ اللَّـهُ أَعْلَـمُ حَيْـثُ يَجْعَـلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤] .

وحَاجَةُ النَّاسِ إلى الرِّسالةِ والرُّسلِ فـوْقَ حـاجَتِهم إلـى كـلِّ شـيء ، وضرورتُهم إلى الرِّسالةِ والرُّسلِ أشدُّ من ضَرُورتِهم إلى أيِّ شيء، ويتَّضِحُ هذا بقَوْلنا : إنَّ الإنسانَ مركَّبٌ من رُوحٍ وجسد ، وأنَّ العالَمَ عالَمان ، عُلْوِيٌّ وسُفْليٌّ، وأنَّ الحياةَ حياتان ، أُولَى تَنْتَهي ، وثانيةٌ تدومُ ولا تَنْتَهِـي وأنَّ بـيْنَ الْحيَـاتَيْنِ

بَرْزَخًا، تقْضي فيه الأرْوَاحُ فترةَ ما بَيْنَ مَوْتِ الإنسانِ وبَعْثِه إلى الحياة الثانية، وكلُّ هذه الأمورِ بحاجةٍ إلى الرِّسالةِ والرُّسل، ويتبيَّنُ هذا بقَوْلنا :

إنَّ كَوْنَ الإنسانِ رُوحًا يحتاجُ إلى وحْيٍ إلهيٍّ ، يُخْبِرُه عن هـذِه الـرُّوحِ وخَصائصها وصفَاتِها وأسْبابِ كمالِها ونُقْصَانِها، وأسْبابِ سعادَتِها وشَقَائِها .

وكَوْنُ الإنسانِ جسدًا يقْتَضِي وحْيًا إلهيًّا يُخْبِرُه كيْفَ يُحافِظُ على سـلامةِ هذا الجَسدِ ويضَعُ له القوانينَ الَّتي بها يعيشُ هذا الجسَدُ المدَّةَ المحدَّدةَ له في هذه الحياة جسدًا صالحًا قويًا ، قادرًا على القيامِ بما كلَّفـهُ اللهُ بـهِ مـنَ الفـرائضِ والواجبات . وكَوْنُ الحياة حياتَيْنِ يقْتَضي أيْضًا وحْيًا إلهيًّا يُخْبِرُ الإنسـانَ عـن الحياةِ الثَّانيةِ وما فيها ، وما له فيها إذا هو انْتقَل إلَيْها .

وكَوْنُ العالَمِ عالَمَيْنِ يقْتَضِي وَحْيًا إلهيًّا يُخْبِرُ الإنْسَان عـن هـذا العـالَمِ الْعُلْويِّ الَّذي لا يستطيعُ الإنْسانُ أن يتعرَّفَ على شيءٍ من خصائصه إلا عـن طريقِ الوَحْيِ والمُرْسلين . ثم إنَّنا قلْنَا إنَّ الله خلقَ الخَلْقَ ليعْبدُوه، والعبادةُ كيْفيَةٌ وكمًّا لا يُمْكنُ للعقْلِ أنْ يستقلَّ بمعرفتها ، فكان لابُدَّ منْ وَحْيٍ مِنْ عنْدِ اللهِ لتعليم النَّاسِ كيْفَ يعبُدون الله . فهذه أكْثَرُ مِنْ ضَرورَةٍ تؤكِّدُ على أنَّه لابُدَّ من الوَحْي ، ولابُدَّ من الرِّسالة ، وأنَّ حاجةَ النَّاسِ إلى الوَحْيِ والرِّسالةِ فوْقَ حاجتِهم إلى كلِّ شيء .

لذلك كان الإيمانُ بالمرْسلينَ رُكْنًا من أركان الإيمان كما علِمْنا من ذلـكَ الحديثِ الَّذي معنا، وقد أمرَ اللهُ سبْحانَهُ في كتابِه العزيز بالإيمانِ بالمرسـلين، وحثَّ علَيْه، وجعلَه منْ أهمِّ خصائص المتَّقين ، فقال تعـالى : ﴿ **الـم**(١) **ذَلـكَ الْكتَابُ لا رَيْبَ فيه هُدًى للْمُتَّقينَ**(٢) **الَّذينَ يُؤْمنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقيمُونَ الصَّلاةَ وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفقُونَ**(٣) **وَالَّذينَ يُؤْمنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ منْ قَبْلكَ وَبِـالآخرَةِ هُمْ يُوقنُونَ** ﴾ [البقرة :١-٤] .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ..﴾ [البقرة :١٧٧]. وقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّــهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ..﴾ [البقرة :٢٨٥] .

وبيَّنَ سبحانَه أنَّ التَّفْريقَ بيْنَ المرْسلين ، والكُفْرَ ببَعْضِهم ، كُفْرٌ بجميعهم، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَــيْنَ اللَّــهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِــذُوا بَــيْنَ ذَلِــكَ سَبِيلاً(١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا .. ﴾ [النساء :١٥٠، ١٥١] .

وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَــابِ الَّــذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِــهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] . فالإيمانُ بجميــع المرْسلينَ رُكْنٌ مِنْ أركانِ الإيمان ، والكُفْرُ بواحدٍ منْهم كُفْرٌ بجميعهم ، ولذا فإنَّك حين تقرأ القرآنَ الكريمَ تجدُ اللهَ عز وجل يقول : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]. ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]. ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَــةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٧٦]. ومعْلومٌ أنَّ كلَّ أمَّةٍ من هذه الأُمَمِ كــذَّبت رســولَها الَّذي جاءها، ولكنَّ اللهَ نسبَ إلَيْهم تكْذيبَ جميعِ المُرْسلين ، لأنَّ الرِّسالَة واحــدَةٌ في أصْلها، واحدةٌ في هدفها، وإنْ تعدَّدَ حاملُوها، وعلَيْه فتكذيبُ واحدٍ من حَمَلَتِها تكذيبٌ لجميع حَمَلَتِها.

ما الْمُرَادُ بِبِعْثَةِ الرُّسل ، لِمَ بعَثَ اللهُ الْمُرْسَلين ؟

قالَ تعالى في بيانِ الحِكْمَةِ الَّتي مِنْ أجْلِهــا أرْســلَ الرُّســلَ : ﴿ رُسُــلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥].

فهذه هي الحكمةُ من إرسالِ المرسلين ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ .

كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص:٤٧].

وكما قال تعالى : ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ [المائدة:١٩].

وقال تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ(١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ .. ﴾ [الأنعام:١٥٥-١٥٧] .

فاللهُ سبحانَه قدْ أبْطلَ حُجَجَ العبادِ وقَطَع معاذيرَهم بإرْسَالِ الرُّسلِ وإنْزَالِ الكُتب، فمن كفرَ بعْد ذلكَ فالنَّار أَوْلى به، وليسَ له حُجَّةٌ يحتَجُّ بهـا عنْد الله، ولايُقْبَلُ منْهُ عُذْر، ﴿ بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ [القيامة :١٤، ١٥] . ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ(٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر:٧٢،٧١].

قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء:١٥].

ماهِيَ وَظيفَةُ الرُسُل ؟

وظيفةُ الرُسلِ تبليغُ الخَلْقِ مَرادَ اللهِ سبحانه وتعالى منْهم، وظيفةُ الرُسُـــلِ الدَّعْوةُ إلى اللهِ عزَّ وجل، وهم جميعًا قد دَعَوْا إلى أصلٍ واحد، وهو توحيـــدُ الله عزَّ وجل، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦] . وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُـــولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء:٢٥].

والقارئُ للقُرْآنِ الكريم يجدُ أنَّ الكلمةَ التي دعا إليها جميعُ الأنبياء كلمـــةٌ واحدة، تتكرَّر بنَفْسِ الألفاظ، بل بنفْسِ الحرُوف : ﴿ **يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُـــمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [الأعراف: ٥٩].

قال تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَـــى وَعِيسَـــى أَنْ أَقِيمُـــوا الـــدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُـــوا فِيهِ** ﴾ [الشورى:١٣] .

مَنْ سُمِّيَ منَ المرْسلين في القرآنِ الكريم :

منَ الإيمانِ بالمرْسلينَ الإيمانُ بمَنْ سمّى اللهُ تعالى منْهم ومَنْ لم يســـمّ ، وقد سمّى اللهُ عزّ وجل لنا في القرْآنِ الكريمِ خَمْسةً وعشْرينَ رسولاً :

فِي تِلْكَ حُجَّتُنا (١) مِنْهُمْ ثَمانِيَةٌ مِنْ بَعْد عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُـــمُ
إِدْرِيسُ هُودٌ شُـــعَيْبٌ صَـــالِحٌ ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

فَمِنَ الإيمانِ بالمرْسلين أن نُؤمِنَ بهؤلاءِ الَّذين سمَّى اللهُ لنـــا فـــي كتابـــه العزيز، فمَنْ أنْكرَ رسالةَ رسولٍ منْ هؤلاءِ فهو كافرٌ بجميع المرْسلين كما بيَّنـــا

---

1 - الأنعام : ٨٣- ٨٦ .

سابقًا. ويجبُ الإيمانُ المُجْمَلُ بكلِّ مَنْ أرْسلَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ غَيْرِ الْمُسَمَّيْنَ في القرْآن، وكما لايجوزُ الكُفْرِ بواحدٍ ممَّنْ سمّى اللهُ عز وجل لا يجوزُ إثْبَاتُ النُّبوَّةِ لاسمٍ مُعيَّنٍ لم يسمّه اللهُ في القرآن . فلا يجوز أن نقول : فُلاَنٌ نَبيٌّ ، ما دامَ هذا الاسْمُ لم يُذْكَرْ في كتابِ اللهِ ولا في سُنَّةٍ ثابتة .

ومِنَ الإيمانِ بالمرْسلينَ الإيمانُ بأنَّهم أفْضَلُ الخلْق، وأكْثَرُ النَّـــاسِ علْمًـــا وعمَلاً ، وأصْدَقُهم حديثًا وأكْمَلُهم أخلاقًا ، وأنَّ اللهَ خصَّهم بفَضائِلَ لا يُحَصِّــلُها غيرُهم ، وأنَّ اللهَ لم يخُصَّهم بطبائعَ غَيْرِ طبائعِ البشَر ، إنَّما اخْتارَهمُ اللهُ سبحانَه رجالاً ، يأكلُون ويشْرَبون ، يبولُون ويتغوَّطون ، ينامُونَ ويتزوَّجونَ وتكونُ لهم الذُّريَّة ، ويمْشُون في الأسْواقِ يَبيعُون ويَشْتَرُون :

قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَـأْكُلُونَ الطَّعَـامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ** ﴾ [الفرقان:٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِـنْ قَبْلِـكَ وَجَعَلْنَـا لَهُـمْ أَزْوَاجًـا وَذُرِّيَّةً** ﴾ [الرعد:٣٨] .

فالواجبُ الوقوفُ عنْد هذا الحدِّ، والابتعادُ عن الغُلوِّ فيهم ، وعن إطرائهم، خشْيَةَ الوقوعِ في وصْفِهِم بما لايجوزُ وصْفُهم به من خصائصِ الرَّبِّ ســبحانه، كما فعلَتْ أُمَمٌ ، إنَّما الأنبياءُ بشَر، لا يملِكُونَ نفْعًا ولا ضرًا ، ولا يملِكُون موْتًا ولا حياةً ولا نُشورًا ، بل ربَّما أصابَتْهم الأمْرَاضُ والأسْقَام، ونالهم أذىً ممَّــنْ كفَر بهم ، وهم يمُوتُون ورُبَّما يُقْتَلُون .

ومِنَ الإيمانِ بالمرسلين الإيمانُ بأنَّ أفْضَلَهم وأكْرَمَهم علــى اللهِ ســبحانه نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ ، كما أخْبَر هو ﷺ بذلك فقال : « **أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَم** » [1].

---

1 - م (٤/١٧٨٢/٢٢٧٨)، د (١٢/٤٢٦/٤٦٤٥) .

ومنَ الإيمانِ به ﷺ الإيمانُ بأنَّه خاتَمُ النَّبيِّن ، كما قالَ ربُّنـا سُـبْحانه : ﴿مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَـالِكُمْ وَلَكِـنْ رَسُـولَ اللَّــهِ وَخَـاتَمَ النَّبِيِّـينَ﴾ [الأحزاب:٤٠] . وقد قال ﷺ : « مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاه ، فَجَعَـلَ النَّـاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ : هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِه اللَّبِنَةُ ؟ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ »[1]. وقال ﷺ : « لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَـدُ ، وَأَنَا الْمَاحِي ، الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ » ، والعاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَه نَبِـيٌّ [2] ، [وقَـدْ سَـمَّاهُ اللهُ رَؤُوفاً [3] رحيمًا] .

وقال ﷺ : « إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاَثُونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي » [4].

الإيمان بالكتب :

قلنا أنَّ الدِّين في أصلِه واحد ، وهو الإسْلامُ ، وأسَاسُهُ التَّوحيد، كما قـال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّــهُ لا إِلَــهَ إِلاَّ أَنَـا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء :٢٥] .

وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران:١٩] .

---

1 – متفق عليه : خ (٦/٥٥٨/٣٥٣٥)، م (٤/١٧٩٠/٢٢٨٦) .

2 – م (٤/١٨٢٨/٢٣٥٤) بدون الجملة الأولى ، خ (٦/٥٥٤/٣٥٣٢) بدون تفسير العاقب ، ت (٤/٢١٤/٢٩٩٦) وقد أورد تفسير العاقب من جملة المرفوع .

3 – السابق .

4 – صحيح : [ص.د : ٣٥٧٧] ، د (١١/٣٢٢/٤٢٣٢) ، جه (٢/١٣٠٤/٣٩٥٢) .

وكما قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران :٨٥] .

فالدِّين واحد ، ولكنَّ الشَّرائعَ تخْتَلِفُ ، كما قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨] . والشَّريعةُ هيَ مَجْمُوعَةُ الأوامرِ والنَّواهي، مجموعةُ الأحْكامِ والقوانين، هذه الشَّريعَةُ تخْتَلِفُ في أحْكامِها منْ أُمَّةٍ لأُمَّة ، ومِنْ جيلٍ لجيل .

وقد أنزلَ اللهُ تعالى على رسُله كتبًا منْ عنْده ، فيها مجْمُوعَةُ الشَّرائع والأحكام الَّتي أرادَ اللهُ أن تسيرَ علَيْها الأمم، وقد سمَّى اللهُ تعالى لنا ممَّا أنْزلَه : القُرْآن ، والتَّوراة ، والإنْجيل ، والزَّبور ، وصُحفَ إبراهيم ، وصُحُفَ موسى .

قال تعالى : ﴿ الم(١) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ(٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران :١-٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى(١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:١٨، ١٩]. وقال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء:٥٥]. فمنَ الإيمانِ بالكتُبِ الإيمانُ بما سمَّى اللهُ تعالى منْها على وجْهِ الخُصوص ، والإيمانُ المُجْمَلُ بكلِّ ما أنزلَ اللهُ منْ كُتُبٍ لم يسمِّها لنا، وقد أمرَنا اللهُ تعالى بذلك فقال : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة :١٣٦] .

وكما أمرَنا اللهُ تعالى بالإيمانِ بكلِّ ما أنْزلَ ، كذلك أمرَ أهْلَ الكتابِ بالإيمانِ بما أنْزلَ على نبِّينا ﷺ .

فقال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً** ﴾ [النساء:٤٧] .

ومن الإيمان بالكتُب الإيمانُ بأنَّ غيْرَ القُرْآنِ منَ الكتُبِ السَّابقةِ كانَ خاصًا بمَنْ أُنْزِلَ إلَيْهم ، أمَّا القُرْآنُ الكريمُ فَهُو للنَّاسِ أجْمَعين، لعُمُومِ رسَالةِ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْه ﷺ ، فواجبٌ على جميعِ النَّاس الإيمانُ بالقُرْآن ، كما يجبُ علَيْهم الإيمانُ بمحمَّد ﷺ .

ومنَ الإيمانِ بالكتُبِ الإيمانُ بأنَّ الكتُبَ السَّابقةَ قد حُرِّفَتْ وبُدِّلتْ ، وزيدَ فيها ونُقِصَ منها ، وأنه لا يوجدُ على وَجْهِ الأرْضِ كتابٌ يُجْزَمُ بنسَبتِه إلى اللهِ تعالى إلاَّ القرْآن ، ذلكَ لأنَّ اللهَ تعالى لم يتولَّ بنَفْسه حفْظَ ما أُنْزِل منَ الكتُبِ السَّابقة ، كما تولَّى بنفْسه حفْظَ القُرْآن ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر: ٩] .

فالقرآنُ محْفُوظٌ منَ الضَّياع ، محْفُوظٌ من التَّبديلِ والتَّغيْيرِ والزِّيادَةِ والنُّقْصان، لأنَّ اللهَ حَفظَهُ بنَفْسه ، أمَّا التَّوراةُ والإنْجيلُ فإنَّ اللهَ لَمْ يحفَظْهُما ، ولذا وقَع فيهما التَّغْييرُ والتَّبْديل، وأخْبَرنا ربُّنا بذلكَ فقال : ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ [البقرة :٧٥- ٧٩] .

* * *

الركن الخامس
الإيمان باليوم الآخر

إنَّ الإيمانَ باليوْمِ الآخرِ رُكْنٌ منْ أركانِ الإيمان، بل هو أهمُّ الأرْكانِ بعْدَ الإيمانِ باللهِ عزَّ وجل، وما جادلَ المشْركُونَ في شيءٍ مما دُعوا إلى الإيمانِ به مثْلَ ما جادَلُوا في الإيمانِ باللهِ واليوْمِ الآخرِ ، أمَّا جدالُهم في الله فقدْ كانُوا ألفُوا تعدُّدَ الآلهة ، فلما قيلَ لهم ﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ قالوا : ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ [ص: ٥] . ولما قيل لهم : ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ(١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون :١٥، ١٦] . قالوا : ﴿ **أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** ﴾ [ق : ٣].

لذا اهتَمَّ القُرْآنُ بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وأكْثَرَ مِنْ الْحثِّ علَى الإيمانِ به، وكثيرًا ما قرَنَ اللهُ تَعالى بيْنَ الإيمانِ باللهِ والإيمانِ باليوم الآخر في مواضعَ كثيرة :

قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ الآية [البقرة :١٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [البقرة :٦٢] .

ولذا كانَ الكُفْرُ بالْيَوْمِ الآخِرِ كُفْرًا باللهِ وملائكته وكتُبه ورُسُله وبالقَدر، فلا يتمُّ الإيمانُ إلاَّ بالإيمانِ بهذه السِّت، فمَن كفَر بواحد منْها فقد كفَر بالجميع، ولذا قال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**

وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء :١٣٦] .

وليس المُرادُ الكُفْرَ بهذه الجملةِ كلِّها ولكنَّ الكُفْرَ بواحد منْها كُفْرٌ بها كلِّها ، ولذا قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [الرعد:٥].

فحكَم اللهُ سُبْحانَه وتعالى على مُنْكِري الْبَعْثِ بثَلاثةِ أحكام :

١- ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ** ﴾ .

٢- ﴿ **وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ** ﴾ .

٣- ﴿**وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ .

ومعْنَى الإيمانِ باليوْمِ الآخرِ الإيمانُ على وجْهِ الإجْمالِ بما يكُونُ بعْدَ الْبَعْث، بكلِّ ما أخبرَ اللهُ عَنْه في كتابه أو على لسانِ رسُولِه ﷺ .

وعلى وجْه التَّفْصيل : الإيمانُ باليوْمِ الآخرِ معْناه الإيمانُ بالموْتِ وما بعده من فِتْنَة القبْرِ ونعيمهِ وعذابهِ ، والبعْثِ ، والحَشْرِ ، وتتطايُرِ صُحفِ الأعمْال ، والحِسابِ ، والميزانِ ، والصِّراطِ ، والجنَّةِ والنَّارِ ، وما فيهما .

ولقد أعْلَم اللهُ سبْحانه آدمَ وزَوْجَه وعدوَّهما إبليسَ أنَّ نزولَهم إلى الأرْضِ ليس للاستقْرارِ والدَّوامِ والخُلود ، وإنَّما هو إلى حين ، قال تعالى : ﴿ **قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ** ﴾ [الأعراف:٢٤، ٢٥].

وكذلكَ كانَتِ الرُّسلُ تُخْبِرُ أقوامهم بما أخبرَ اللهُ به آدمَ وزَوْجَه وعدوَّهما :

فقالَ نوحٌ لقوْمه : ﴿ **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا(١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا**

﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح :١٧،١٨] .

وقال الخليلُ إبراهيمُ عليْه السَّلام لقومه معرّفًا لهم بالإله الحقِّ الَّذي يجبُ أنْ يعبُدوه : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ(٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ(٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ(٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ(٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء:٧٨-٨٢] .

وعيسى عليْه السَّلام لمَّا تكلَّم في المَهْد صبيًا : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا(٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا(٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم :٣٠-٣٣] .

ولقد أقسم ربُّنا سبحانَهُ على أنَّ البعْثَ حَقٌّ ، فقال : ﴿ وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا(٦٦) أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا(٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم:٦٦-٦٨] .

وأمر سبحانه نبيَّنا محمَّدًا ﷺ أن يُقْسِمَ بربِّه على أنَّ البعْثَ حقٌّ :

فقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس:٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ :٣].

وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن:٧] .

والقارئُ للقُرْآنِ الكريم يجدُ الكثيرَ والكثيرَ من الأدلَّةِ والبرَاهين على إمْكَانِ البَعْثِ وخُروجِ النَّاسِ من قُبورهم : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾[إبراهيم:٥١].

وهذه البراهينُ والأدلَّة قد جمَعها اللهُ سبْحانه في صَدْرِ سُورَةِ النَّبأ حيْثُ يقول تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ(١) عَنْ النَّبَإِ الْعَظِيمِ(٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ(٣) كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ(٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ(٥) أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَادًا(٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا(٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا(٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا(٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا(١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا(١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا(١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا(١٣) وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا(١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا(١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾[النبأ:١-١٦].

وبالتَّأمُّلِ في هذه الآياتِ نستَطيعُ حَصْرَ أدلَّةِ البَعْثِ في أرْبَعةِ أنْواع :

الأول : أنَّ الله خلَق من الخلق ما هو أعْظَمُ من خَلْقِ الإنسان ، وإذا خلقَ ماهو أكْبَرُ خلقًا من الإنسان فلنْ يعْجزَ أن يُعيدَ الإنْسانَ مرَّة ثانية : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَادًا(٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ، ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ .

فهذه السَّمواتُ والأرْضُ خَلَقَهنَّ اللهُ عزَّ وجل ، وخَلْقُهنَّ أكْبَرُ وأشَدُّ مِنْ خَلْقِ الإنْسان، فأنّى تُعْجِزُ اللهَ يا ابْنَ آدمَ أن يُعيدَك مرَّة ثانية ، وقد خلَق ما هو أعْظَمُ منْك . قال تعالى : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ [النازعات :٢٧] .

وقد صرَّح ربُّنا سبحانه أنَّ خَلْقَ السَّمواتِ والأرْضِ أكْبَرُ منْ خَلْقِ الناس ، فقال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر:٥٧] ؛ ولذلك قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣] .

وقال تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَـادِرٍ عَلَـى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس : ٨١] .

الثاني : أنَّ اللهَ خلق الإنسان لأول مرَّة ، فكيف يَعْجَـزُ عـن إعادتـه ، والإعادَةُ أهْوَنُ من البدْء ، قال تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ . فالَّذي خلَقَكُم مِنْ عدَمٍ قادرٌ أنْ يُعيدَكم تارةً أخرى ، ولذا قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الروم:٢٧] . وليْسَ هناك شيْءٌ هيّنٌ على الله ، وشَيْءٌ أهْوَن ، ولكنَّه مثَلٌ ضـرَبه اللهُ لعلَّهـم يعْقِلُونَ أنَّ الَّذي خلقَهم أوَّلَ مرَّة قادرٌ أنْ يُعيدَهم تارةً أُخْرى .

قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا(٦٦) أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٦٦، ٦٧] . وقـال تعـالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ(٧٧) وَضَـرَبَ لَنَـا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَـأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس :٧٧-٧٩] . وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّـاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَـلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [الحج :٥] .

الثالث : هذه الأرْضُ تَراها ميْتةً ، جرْداءَ لا زَرْعَ فيها ولا ماء، فإذا نزلَ المطَرُ : ﴿ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥] . هذه آيةٌ منْ آياتِ البَعْث ، ولذا قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا(١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا(١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ [النبأ :١٤-١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت : ٣٩] . وقال تعالى : ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج :٥-٧] .

الدليل الرابع : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ : ٩] . النَّوْمُ واليَقَظةُ دليلٌ على إمْكانِ البَعْثِ، أنتَ يا ابنَ آدم تنامُ في اليوْمِ واللَّيلةِ مرةً أو مرَّتيْن ، ثم تُبْعثُ بعد ساعاتٍ من نوْمك ، تنامُ فتموت ، وتستيْقظُ فتُبْعث ، فالنَّوْمُ أخو الموْت ، والنَّوْمُ هو الموْتَةُ الصُّغرى ، تنامُ فتفْقدُ إدراكَك وشعُوركَ وإحساسَك، فلا تشْعرُ بما حوْلَك ، وهذا هو الموْت ، ولذا سمَّى اللهُ النَّوْمَ وفاةً فقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ﴾ [الأنعام :٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[الزمر:٤٢].

ولهذا كان النبيُّ ﷺ إذا أوى إلى فراشه يقول : « بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ » [1]. وكانَ يَقُولُ : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ » [2].

---

1 - متفق عليه : خ (١١/١٢٥/٦٣٢٠)، م (٤/٢٠٨٤/٢٧١٤)، ت (٥/١٣٩/٢٤٦١) ، د (١٣/٣٩١/٥٠٢٩) .

2 - متفق عليه : خ (١١/١١٣/٦٣١٢)، م (٤/٢٠٨٣/٢٧١١)، ت (٥/١٤٦/٣٤٧٧)، د (١٣/٣٩١/٥٠٢٨)، جه (٢/١٢٧٧/٣٨٨٠).

فإذَا استَيْقظَ قال : « الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْه النُّشُــورُ » [١].
« الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي رَدَّ عَلَيَّ رُوحي وعَافَاني في جَسَدي وَأَذنَ لي بذكْره » [٢].

هذا ، وإنَّ للإيمانِ باليومِ الآخرِ تأثيرًا كبيرًا في سُلوكِ الإنْسانِ وتصرُّفاته وأفْعالِه، وانْضباطه وعَدمِ انْضبَاطه ، فشَـتَّانَ بَـيْنَ رَجُـلٍ لا يُـؤْمنُ بالبَعْـث والحساب، وبيْنَ آخرَ يؤمنُ بالبعث والحساب. فالأوَّلُ ضابطُه هـوَاه ، وقائـدُه شَهْوَتُه ، يفْعَلُ ما يشاءُ منْ غَيْرِ خَوْفٍ منْ حسابٍ ولا جزاءٍ ولا عقاب ، وأمَّـا الثَّاني فضابطُه هو الإيمانُ بالله ، وقائدُه الخَوْفُ منَ الله ، فإذا هَمَّ بسُوءٍ تذكَّر أنَّهُ مجْزِيٌّ به فأَقْلَع عنْه ، وإذا أقدمَ على ظلمِ إنسانٍ تذكَّر أنَّ المظلومَ سيقتصُّ منْـه يوْمَ الحسابِ فرجَع عن ظُلْمه ، وهكذا .

والَّذي يقرأُ القرآنَ الكريمَ يجدُ منْ هذا الكثيرَ والكثير : يقـولُ تعـالى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ(١) فَذَلكَ الَّذي يَدُعُّ الْيَتِيمَ(٢) وَلا يَحُضُّ عَلَـى طَعَـامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [المـاعون :١-٣] . فهو يُهين اليتيم ، ويَحْرِمُ المسكينَ لأنَّه لا يـؤمنُ بالحسابِ والجزاء . ويقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّه مَنْ آمَـنَ باللَّـه وَالْيَوْمِ الآخرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْـشَ إِلاَّ اللَّـهَ ﴾ [التوبـة :١٨] . فالإيمانُ باللهِ واليوْمِ الآخرِ هو الَّذي يحثُّ على إقامِ الصَّـلاةِ وإيتـاءِ الزَّكـاة . والإيمانُ باليوْمِ الآخرِ هو الذي يحملُ الإنسانَ على تلْبية نداء الجَهاد ، كما قـال تعالى : ﴿ لا يَسْتَأْذنُكَ الَّذينَ يُؤْمنُونَ باللَّه وَالْيَوْمِ الآخرِ أَنْ يُجَاهدُوا بِـأَمْوَالهِمْ وَأَنفُسهِمْ وَاللَّهُ عَليمٌ بالْمُتَّقينَ(٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذنُكَ الَّذينَ لا يُؤْمنُونَ باللَّه وَالْيَـوْمِ الآخرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ في رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة :٤٤، ٤٥] .

---

1 - السـابق .

2 - حسن : [ص. ت : ٣٤٠١] ، ت (٥/١٣٩/٣٤٦١) .

فاعلم يا عبدَ الله أنَّكَ إلى اللهِ راجع ، وبيْنَ يَدَيِ اللهِ موْقُوف ، وأمـــامَ اللهِ مسْؤُول ، فأعِدَّ للسؤَّالِ جوابًا .

* * *

الركن السادس
الإيمـــان بالقـــدر

إنَّ الإيمانَ بالقَدرِ هو الرُّكْنُ السَّادسُ منْ أرْكَانِ الإيمان ، ولا يتمُّ إيمـــانُ العبْد إلاَّ بالإيمانِ بالقدَر، فمن كفرَ بالقَدرِ فقد خرَج مـــن الـــدِّين، لقولـــه ﷺ : « **لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ** » (١).

ولقد كَثُرَ في القرآنِ الكريمِ ذِكْرُ القَدر ، ومنْ ذلكَ قولُه تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر:٤٩]. وقوله: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَـــدَّرَهُ تَقْـــدِيرًا** ﴾ [الفرقـــان:٢] . وقوله: ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّه قَدَرًا مَقْدُورًا** ﴾ [الأحـــزاب:٣٨]. وقولـــه: ﴿**سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى(١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى(٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾[الأعلى:١-٣]. وكذلك كَثُرَ ذِكْرُ القدَرِ في أحاديـــثِ النبيِّ ﷺ .

والإيمانُ بالقَدرِ على مراتب :

الأولى : الإيمانُ بعلْم اللهِ سبحانَه الشَّامل ، المحيطِ بكلِّ شيءٍ، أنْ تُـــؤْمِنَ بأنَّ اللهَ قد أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا ، أنْ تُؤمِنَ بأنَّ اللهَ قـــدْ عَلِـــمَ الموْجُـــوداتِ ، والمعْدُوماتِ ، والمُمْكناتِ ، والمُستَحيلاَت ، أنْ تؤمِنَ بأنَّ اللهَ علِمَ ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، وعلِمَ مالَمْ يكنْ لوْ كانَ كيْفَ كانَ يكُون .

قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَـــزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَـهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَـــيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الطلاق: ١٢] .

---

1 – صحيح : [ص.ت : ٢١٤٤] ، ت (٣/٣٠٦/٢٢٣١) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ(٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٨، ٩]. وقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام :٥٩] . وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة :٧] .

الثَّانية : الإيمانُ بأنَّ اللهَ سبحانَه قد كتبَ كلَّ ما يكونُ في كتابٍ محفُوظ عنْده سُبْحانه ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٠] .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢] . وقال تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس :٦١] .

وقد صرَّحت السُّنَّةُ بما صرَّح به القرآن ، فجاء عن النبيِّ ﷺ قولُه : « إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » (١).

---

1 - م (٤/٢٠٤٤/٢٦٥٣)، ت (٣/٣١١/٢٢٤٥) .

وقوله ﷺ : « **إنَّ أوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ . قَالَ : يَارَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ** » (١).

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : « **يَا غُلامُ ألاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ ! احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّه ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ** » (٢).

الثَّالثة : الإيمانُ بمشيئَةِ اللهِ وقُدْرَتِه ، أنْ تؤمنَ يا عبْدَ الله أنَّ هذَا الكونَ كلَّه مِلْكٌ لله سبحانه ، وأنَّ اللهَ سبحانَهُ هو الَّذي يُدبِّرُ أمْرَ هذا الكوْنِ كلِّه، وأنَّ ما شاءَ كانَ وما لَمْ يشأْ لَمْ يكُنْ ، وأنْ تؤمنَ بأنَّ مشيئةَ اللهِ نافذَةٌ في العباد ، وأنَّ اللهَ لا رادَّ لقضائِه ، ولا مُعقِّبَ لحُكْمِه ، ولا غالبَ لأمْرِه. وأنْ تُؤْمنَ بأنَّ اللهَ علَى كلِّ شيءٍ قدير ، لا يَعْجَزُ عن شيء ، ولا يُعْجِزُه شيء : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** ﴾ [فاطر:٤٤] .

المرْتَبَةُ الرَّابعة : الإيمانُ بأنَّ اللهَ سبحانَه خَالِقُ كلِّ شيء، لاَ خالِقَ غَيْرُه ، ولا شريكَ له في الخَلْقِ ، قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ [الزمر :٦٢] .

---

1 – صحيح : [ص.د : ٣٩٣٣] ، د (٤٦٧٥/٤٦٧/١٢)، ت (٢٢٤٤/٣١٠/٣) .
2 – صحيح : [ص. ت : ٢٥١٦] ، ت (٢٦٣٥/٧٦/٤) .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام :١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ ﴾ [غافر:٦٢].

ويدخلُ في خَلْقِ الله أعْمَالُ بني آدم ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] .

هلْ يجُوزُ الاحْتِجَاجُ بالقَدر ؟

إذا علمْنا أنَّ اللهَ خالِقُ كلِّ شيء ، وأعمالَنا مِنْ خَلْقِ الله ، فهلْ يجوزُ الاحْتِجَاجُ بالقَدر ؟

الجواب : أنَّ هذه شُبْهَةٌ عرَضتْ للمشْركينَ في كلِّ أُمَّةٍ وفي كلِّ زمان ، وقد أبطلها اللهُ سبحانه وردَّها على قائليها، فقال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ(١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام : ١٤٨، ١٤٩] .

فلو كانتْ هذه الشُّبْهَةُ مقبولةً ما عذَّبَ اللهُ قائليها ، فلمَّا أذَاقهم بأْسَه ، وأرْسلَ علَيْهم عذابَه ، عُلِم أنَّ حُجَّتهم داحضَةٌ عنْد ربِّهم ، وأنَّ للهِ الحُجَّةَ البالغة ، لأنَّ اللهَ قد أرْسلَ رُسلَه مُبشِّرينَ ومُنْذرين ، وبذلكَ أقامَ الْحُجَّةَ على العباد ، كما تحدَّثْنا عن ذلكَ بالتَّفصيل عنْد كلامِنا عنِ الإيمانِ بالمرْسلين .

وهذا القَدْرُ البسيطُ المحْدُودُ هو ما يجبُ علينا معْرفتُه عن القَدَر ، وما سوَى ذلك فالواجبُ الإمْسَاكُ عن الخَوْضِ فيه ، " لأنَّ القدرَ سرُّ اللهِ تعالى

في خَلْقه، لم يطَّلِعْ على ذلكَ ملَكٌ مُقَرَّب ، ولا نبيٌّ مُرْسَل ، والتعمُّقُ فـي ذلـكَ ذريعَةُ الخُذْلاَن، وسُلّمُ الحِرْمَان ، ودرَجةُ الطُّغْيان ، فالحذرَ كُلَّ الحذَرِ منْ ذلكَ ، نظَرًا وفِكْرًا ووَسْوَسَةً ، فإنَّ اللهَ تعَالى طوىَ علْمَ الْقَدَر عَنْ أنَامه ، ونَهاهُمْ عَـنْ مُرامِه فقال : ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [الأنبياء :٢٣]" [1].

ولذا قَال بعْضُ السّلف : رأيتُ أعْلَمَ النَّاس بالقدَرِ أمْسَكَهُم عن الكلامِ فيه ، ورأيْتُ أجْهلَ النَّاسِ بالقَدرِ أكْثَرَهم خَوْضًا فيه .

شُــبْهَةٌ وجــوابها :

كثيرًا ما نسمَعُ بعْضَ النَّاسِ حين يُدْعى لفعْل واجبٍ هو تاركُه، أو تَـرْك حرامٍ هو فاعِلُه، يقول : ﴿ **إِنَّكَ لاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ [القصص :٥٦] . وما دامَ اللهُ يهْدِي منْ يشاءُ فدَعْني وشأْني حتَّـى يهْـدِيَني الله . وهي كلمةٌ حقٌّ أُريدَ بها باطل ، نعَمْ نحنُ نؤمنُ أنَّ اللهَ يهْدي منْ يشاء ، وأنَّ منْ يهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِل فَلا هَاديَ له ، ولكنْ ليْسَ في هذه الآيةِ حُجَّةٌ لمَنْ يحتَجُّ بها ، وليْس فيها عُذْرٌ لمَنْ يعْتَذرُ بها عن تَرْكِ واجبٍ أو فعْلِ مُحَرَّم .

إنَّ هذه الآيةَ أنْزَلها اللهُ علَى نبيِّه ﷺ يُعزّيه بها في موْتِ عمِّه أبي طالبٍ على الكُفْر ، لقد دخلَ رسُولُ الله ﷺ على عمِّه أبي طالبٍ وهو يجودُ بنَفْسِـه ، فقَالَ : يَاعمِّ قُلْ لاَ إلهَ إلاّ الله ، كَلِمَةً أشْفَعُ لكَ بهَا عنْدَ الله ، فقَالَ أبُو جَهْلٍ وغَيْرُهُ منَ الْحَاضرينَ الْمُشْركين : أترْغَبُ عنْ ملَّة عَبْد الْمُطَّلب ، فقَالَ أبُو طَالب : لا ، بَلْ عَلَى ملَّة عَبْد الْمُطَّلب ، ثُمَّ ماتَ علَى كُفْره ، فحَزنَ رسُولُ الله ﷺ علَى عمِّه أنْ ماتَ كافرًا ، ثُمَّ قالَ : وَالله لأَسْتَغْفرَنَّ لكَ مَالَمْ أُنْهَ عَنْ ذَلك ، فأنْزَلَ اللهُ قوْلَه:

---

1 - العقيدة الطحاوية (٣٢) .

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة :١١٣] . وقولَه : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦] .

فهذه الآيةُ فيها عَزاءٌ للدُّعاة ، للمُصْلِحين ، للآمرينَ بالمعْرُوف ، النَّاهينَ عن المُنْكر ، إذا بذَلُوا وُسْعَهم ، وأرْشَدُوا النَّاسَ وهَدَوهُم ، ثُمَّ لمْ يَسْتَجيبُوا لَهُم ، فَلْيُعَزُّوا أنْفُسَهم بهذهِ الآية : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦] .

ثم إنَّا نقول : إنَّ الهدايةَ أنْواع ، الَّذي يهمُّنا منْها في هذا المقامِ نَوْعَان : هدايةُ الدِّلالَةِ والإرْشادِ والبَيان ، وهدايَةُ التَّوْفيق .

أما الأولى فهي الَّتي أثْبَتها اللهُ لنبيِّه وللدُّعاة ، في قولِه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى :٥٢] . وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة :٢٤] .

وأما الثَّانية : وهي هدايةُ التَّوفيق ، الَّذي هو خَلْقُ قُدْرَةِ الطَّاعة ، فهذه لايَمْلِكُها أحدٌ سوَى اللهِ سبْحانه، وهذه هي الَّتي نفاها اللهُ عن نبيِّه في قولِه: ﴿إِنَّكَ لاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[القصص:٥٦].وفي قوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾[البقرة:٢٧٢].

والهدايَةُ الثَّانيةُ مترتِّبَةٌ علَى الهدايةِ الأُولى ، بلْ إنَّ الهدايَةَ الثَّانيةَ هي جزاءُ قَبُولِ الهدَايةِ الأولى، فمَن استجابَ للأنْبياءِ وأطاعَ المُصلِحين، واتَّبَع النُّورَ الذي جاؤوا به رزَقَهُ اللهُ الهدايةَ الثَّانية، وهي هدايَةُ التَّوفيق، فشَرَح صدْرَهُ للإسْلام، وحبَّب إليه الإيمان، وكرّه إليهِ الفُسوقَ والعِصْيان .

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴾ عن الأنبياء والمصلحين: ﴿ وَكَذَّبَ

بِالْحُسْنَى[٩] **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ [الليل :٥-١٠]. ﴿ **جَزَاءً وِفَاقًـا** ﴾ [النبـأ :٢٦]. ﴿ **وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف:٤٩].

قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾ [الصف :٥] . وقال تعالى : ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِـي طُغْيَـانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الأنعام :١١٠] .

فأنْتَ يا عبدَ الله ، الواقعُ يفيدُ أنَّك إذا أحْبَبْتَ شيئًا سَعْيتَ إلى تحْصيله ، إذا أردْتَ الرِّزْقَ سعَيْتَ لتحصيله ، إذا مَرِضْتَ سعَيْتَ للشِّـفاء ، إذا أردْتَ الذُّرِيَّـةَ سعَيْتَ إلى الزَّواج ، فهل تريدُ أن يَهْدِيَك الله ؟ إنْ كُنْتَ صادقًا فاسْعَ لتَحْصـيل الهداية ، سَلِ اللهَ أنْ يَهْدِيَك ، قل : « **اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى ، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى** » [١]. قل : « **اللَّهُمَّ اهْدِني فِيمَنْ هَدَيْتَ** » [٢]. فإن الله قـد قـال فـي الحديث القدسي : « **يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ** »[٣].

اللَّهُمَّ اهْدنا فيمَنْ هَديْت ، وعَافِنَا فيمَنْ عَافَيْت ، وتَولَّنَـا فِـيمَنْ تولَّيْـت ، وبارِكْ لنَا فيمَا أعْطَيْت . آمين .

* * *

---

1 - م (٤/٢٠١٧/٢٧٢١)، ت (٤/١٨٤/٣٥٥٥) .

2 - صحيح: [ص. د : ١٢٦٣] ، د (٤/٣٠٠/١٤١٢) ، ت (١/٢٨٩/٤٦٣)، جه (١/٣٧٢/١١٧٨)، نس (٣/٢٤٨) .

3 - م (٤/١٩٩٤/٢٥٧٧)، ت (٤/٦٧/٢٦١٣) .

ثالثا : الإحســـان

سألَ جبْريلُ النبيَّ ﷺ عَن الإحْسَانِ ، فقالَ النبيُّ ﷺ :

« **الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** » .

" وهذا الجوابُ الوجيزُ منْ جوامعِ كَلِم النبيِّ ﷺ ، الَّتي أُوتيَها ، فإنَّا لَــوْ قدَّرْنا أنَّ أحدَنا قامَ في عبَادةٍ وهو يُعاينُ ربَّه سُبْحانه ، وينْظُر إليْه ، لمْ يتْرُكْ هذا القائمُ شيْئًا يقْدِرُ علَيْه من الخُشوع ، والخُضوع ، وحُسْنِ السَّــمْت ، واجْتماعــه بظَاهرِه وباطنِه على ماهُو فيه ، إلا أتَى به ، لأنَّه يرى اللهَ وينْظُر إليْه ، ويعْلَــمُ أنَّ اللهَ يُراقبُه ، فإنْ أحْسَن أحْسَن لنَفْسه ، وإنْ أساءَ فعلَيْها ، فهو ليقينــه أنَّ اللهَ يطَّلعُ عليه، يُحاولُ أنْ يُحَسِّنَ هذه العبادةَ قَدْرَ ما يسْتطيع ، فقالَ النبي ﷺ اعْبُــدِ اللهَ في جميع أحْوالِكَ كعِبَادَتِكَ في حالةِ المُعايَنة، فإنَّ اطِّلاَع الله عليْكَ حاصل ، سواءٌ رأَيْتَه أمْ لَمْ تَرَه ، إنَّ اللهَ مُطَّلعٌ عليْك أبدًا ، فإذا كنْتَ لو عبَدْتَهُ وأنْتَ تراه ، أخْلَصْتَ هذه العبادة ، وحسّنتها ، وجمّلتها ، وأتْقَنْتَها ، فاعْبُــدِ اللهَ فــي جميــعِ أحوالِكَ على هذا النَّحو ، فإنَّ الَّذي دفعكَ إلى تَحْسينِ هذه العبادةِ هو يقينُك أنَّ اللهَ مُطَّلعٌ علَيْك ، واللهُ مُطَّلِعٌ عليْك ، رأيتَه أمْ لَمْ تره ، « **فَاعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَــرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** » .

والمقْصُودُ منْ هذا الحثُ على الإخْلاصِ في العبادة ، والخضُوعِ فيهــا للهِ سبْحانه ، ومُراقبةِ الله سبْحانه في كلِّ عَمل ."[١]

---

1 - شرح مسلم للنووي (١٥٧ و ١/١٥٨) بتصرف .

فإنَّ " الإحْسانَ : مصْدَرُ أحْسَنَ يُحْسِنُ إحْسَانًا ، ويُقَالُ علــى معْنَيــيْن : أحدهما : متعدٍّ بنفسه ، كقولك : أحسَنْتُ كذا ، وفي كذا ، إذا حسّنته وكمَّلتــه ، وهو منقول بالهمْز من حسَّنَ الشيء . وثانيهما : متعدٍّ بحرف جرٍّ ، كقولــك : أحْسَنْتُ الى كذا ، أي : أوْصَلْتُ إليْه ما يَنْتَفِعُ به ، وهو في هذا الحديث بالمعنى الأوّلِ لا بالمعْنى الثاني . إذْ حاصِلُه راجعٌ إلى إتْقَانِ العبادات ، ومُراعاةِ حقُوقِ الله تعالى فيها ، ومُراقَبته ، واسْتِحْضَارِ عظَمتِه وجلاله حالةَ الشُّروعِ ، وحالَــةَ الاسْتِمْرارِ فيها .

وأربابُ القلُوبِ في هذه المُراقَبةِ على حالَيْن : أحــدُهما : غالــبٌ علَيْــه مُشاهدةُ الحقِّ فكأنَّه يراه ، ولعلَّ النبيَّ ﷺ أشــار إلــى هــذه الحالــةِ بقوْلــه : « **وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي عِبَادَةِ رَبِّي** » . وثانيهما : لا يَنْتَمِي إلى هذه الحالــة ، لكنْ يغْلِبُ علَيْه أنَّ الحقَّ سُبْحانَهُ مُطَّلِعٌ علَيْه ومُشاهِدٌ له ، وإليْه الإشارةُ بقَوْلِــه تعالى : ﴿ **الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ(٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** ﴾ [الشــعراء: ٢١٨، ٢١٩]. وبقوله : ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ** ﴾ [يونس : ٦١] ، وهاتــانِ الحالتــانِ ثمرَةُ معْرِفَةِ الله وخَشْيَتِه ."[١]

ابنَ آدَم : اعلَمْ أنَّك لم تُخْلَقْ عبثًا ، ولم تُتْرَكْ سُدًى ، وإنما خُلِقْتَ لأمــرٍ عظيم، ذكرَه اللهُ في قوْله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦] والعبادةُ بإيجازٍ تتكوَّنُ من شِقَّيْن : أوامرُ يجبُ فِعْلُها ، ونَــواهٍ يجــبُ اجْتِنَابُهــا والبُعْدُ عنْها .

---

1 - المفهم : (١٤٢و ١/١٤٣).

ولن يُعينَك على هذه العبادة إلا مُراقَبةُ الله سبحانه ، وعلْمُكَ بأنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عليْك ، وناظرٌ إليْك ، وأنَّك بادٍ لربِّك ، ظاهِرٌ له ، لا يخْفَى على الله شأْنٌ مِنْ شؤونك ، ولا أمرٌ منْ أمورك .

وقد كَثُرَ في القرْآنِ الكريم الأمْرُ بمُراقَبة الله سبحانه ، مِنْ ذلكَ قولُه تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ(٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ(٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء :٢١٧-٢١٩] .

وقولُه تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس :٦١] . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] . وقولُه تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة :٧] .

وكذلك كَثُرَ في أحاديث الرَّسُول ﷺ الأمْرُ بمُراقَبة الله سبحانه ، فمِنْ ذلكَ قولُه ﷺ : « اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ » [1]. في أيِّ زمانٍ ومكان ، ولذا قالَ القائل:

إذا ما خلوْتَ الدَّهرَ يومًا فلا تَقُلْ خلوْتُ ولكنْ قُلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللهَ يغْفَلُ ساعةً ولا أنَّ ما تُخْفِي عليْه يغيبُ

---

1 – حسن : [ص. ت : ١٩٨٧] ت (٣/٢٣٩/٢٠٥٣) .

إنَّ مُراقَبةَ اللهِ سبحانه هي التي تُعينُ الإنْسانَ على الالتزامِ بما فرضَ اللهُ واجتنابِ ما حرّم ، إنَّ مراقبةَ اللهِ هي الّتي تُعينُ الإنْسانَ على الخشُوعِ في الصَّلاة ، وتجْعلُها خفيفةً عليْه ، فلا يسْأم ولا يملّ ، قال تعالى : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ [البقرة :٤٥] . وقال تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**(١) **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ [المؤمنون:١، ٢].

وعدَمُ مُراقَبةِ الله يَجْعَلُ الإنسانَ يُضيّع الصَّلاة ، أو يُرائي بها ، قال تعالى عن المنافقين : ﴿ **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [النساء :١٤٢] . وقال تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ**(٤) **الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**(٥) **الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ** ﴾ [الماعون :٤-٦] .

ومُراقَبةُ اللهِ سبحانَه هي التي تُعينُ الإنسانَ على غضِّ بصرِه ، فلا ينْظرُ إلى ما حرَّم اللهُ النَّظَر إليه .

إنَّ اللهَ تعالى حرَّم على الرِّجالِ النَّظرَ إلى النِّساء الأجْنبيَّات ، وحرّم على النِّساء النَّظرَ إلى الرِّجال الأجانب ، فقال تعالى : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾ وقال: ﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** ﴾ [النور:٣٠، ٣١]. كما نهانا اللهُ عن النَّظر إلى فُضولِ الدُّنيا ، فقال لنبيِّه ﷺ : ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [طه :١٣١] . ومَراقبةُ الله هي الّتي تعينُ المُسْلِمَ على غضِّ بصَره ، ولذا قيل للجُنَيْدِ رحمَهُ الله : بِمَ يُستعانُ على غضِّ البصَر ؟ فقال : بعلْمِكَ أنَّ نظَرَ اللهِ إليْكَ أسْبَقُ مِنْ نَظرِكَ إلى مَنْ تَنْظُر .

ومراقَبةُ اللهِ تعالى هي الّتي تعْصِمُ الإنْسانَ منَ الفواحش ، ما ظهَر منها وما بطن ، وما رجَع يوسفُ عليْه السَّلامُ عن همّه إلا لمراقبتِه اللهَ تعالى : ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتْ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ**

مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف : ٢٣] .

ومراقبَةُ اللهِ هي الَّتي جعَلت الرَّجل الذي راوَد ابنةَ عمِّه عن نَفْسها حين ألَمت بها سَنةٌ من السِّنين ، فجاءَته تسألُه منْ ماله ، فقال : لا ، حتَّى تمكِّنيني من نفْسِك فانْصَرفَتْ ، حتَّى اشتدَّتْ بها الحاجَةُ ، فجاءَته تسألُه ، فقَال : لا ، حتَّى تمكِّنيني من نفْسِك ، فأجابَتْه وهي كارِهَةٌ ، فلما قعَد بيْنَ رجْلَيْها ، قالت : اتَّقِ اللهَ ، ولا تفضَّ الخاتمَ إلا بحقِّه ، فقامَ عنْها ، وترَكَ الذي أعْطاها ، وكان قد أعْطاها عِشْرينَ ومائةَ دينار. فمُراقَبةُ اللهِ هي الَّتي جعَلَتْه يتْرُكها وما أعْطَاها[1].

إِنَّها مراقبةُ الله الَّتي تعْصِمُ منَ الفواحشِ ماظهرَ منْها وما بطن ، إنَّها مُرَاقبةُ اللهِ التي تحثُّ الإنسانَ وتدْفَعُه إلى إتْقانِ عَمله ، مهْمَا كان ذلكَ العَمل ، منْ أمُورِ الدِّين أوْ أمُور الدُّنيا .

مَنْ راقبَ اللهَ تعالى أخْلَص في عبادتِه ، وأخْلَص في وظيفته ، وأخْلَص في كلِّ عملٍ وُكل إليه ، وإنْ لم يُراقِبْه أحدٌ من المسؤولين ، لأنَّه يعلَمُ أنَّ اللهَ وحْدَه يُراقبُه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

ومنْ لَمْ يُراقبِ اللهَ لم يُتْقِنْ عمَلاً ما ، عبادةً كانَ أو غيْرَها، مَنْ لَمْ يُراقِبِ اللهَ لَمْ يُخْلِص في عَمله وإنْ قامَ علَى رأْسِه المسؤولون .

إنَّ عدَم مُراقَبةِ اللهِ تعالى يُؤدي إلى تَرْك الواجبات ، وفعْلِ المحرَّمات، والغش في المُعاملات ، فاللهَ اللهَ عبادَ الله ، رَاقِبُوا اللهَ في سرِّكم وعلانِيَتِكم ، واعْلَمُوا أنَّ اللهَ علَيْكم رقيب .

1 – متفق عليه : خ (٣٤٦٥/٥٠٥/٦)، م (٢٧٤٣/٢٠٩٩/٤) .

واعلَمْ يا عبْدَ الله أنَّ المُراقَبة قد شُدِّدَتْ عليْكَ جدًّا ، فأنْتَ مُراقَبُ في نَوْمِكَ ويَقظَتك ، في غدْوِكَ ورَواحك ، في حركَتك وسُكُونك ، فالله عليْكَ رقيب ، وملائكةُ الله أيضًا يراقبُونك : ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ(١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق:١٧، ١٨]. ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ(١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الإنفطار :١٠-١٢] .

ثم إنَّك أيها العبْدُ بعْدَ ذلك كلِّه مراقبٌ من نَفْسك ذَاتها ، أعْضَاؤك ، جوارِحُك ، كلُّهم يُراقبُونَك ، وسيَشْهدُونَ عليْك يوْمَ القيَامة :

قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ(١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ(٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [فصلت:١٩-٢٣]

وقال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [يس: ٦٥] .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ : « **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ** » قَالَ : قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « **مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ . يَقُولُ : يَا رَبِّ ! أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ ؟ قَالَ : يَقُولُ : بَلَى قَالَ : فَيَقُولُ : فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي . قَالَ : فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا ، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا . قَالَ : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ . فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ : انْطِقِي . قَالَ : فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ . ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ .**

قَالَ: **فَيَقُولُ : بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ** »[1].

أرأيتَ يا عبْدَ الله كيفَ ضُيِّقَ عليْك الخنَاق ؟ أرأيتَ يـا عبْـدَ الله كيْـفَ شُدِّدَتْ عليْكَ المُراقَبة ؟ فبالله عَليْكَ قُلْ لي : كيْفَ تَسْتَبيحُ لنَفْسكَ أنْ تَرْتَكبَ مـا حرَّم اللهُ عَليْك ؟ أمْ كيْفَ تَستَبيحُ لنَفْسـكَ أن تَتْـرُكَ مـا فـرَضَ اللهُ عَليْـك ؟ ألا تَسْتَحي منْ رَبِّكَ أنْ يرَاكَ حيْثُ نهَاك ، وأنْ يفْقدَك حَيْثُ يُحِـبُّ أنْ يـرَاك . يا عبْدَ الله لا تَكُنْ كالمُنَافقينَ الَّذي قالَ اللهُ فيهم : ﴿ **يَسْتَخْفُونَ مِـنْ النَّـاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ** ﴾ [النساء :١٠٨] .

ما جزَاءُ المُحْسِنين ؟

يقولُ تعالى : ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾ [الرحمن :٦٠] . فمَـنْ أحْسنَ فيمَا بيْنَهُ وبيْنَ الله أحْسَنَ اللهُ إليْه في الدُّنيا والآخرة .

أما إحْسانُ الله إلى مَنْ أحْسنَ في الدُّنيا ، فإنَّ اللهَ يقول : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَـعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾ [النحل :١٢٨] . وهذه المَعيَّـةُ هـي المَعيَّـةُ الخاصَّة ، ومُقْتَضاها التَّأييدُ والتَّمكين ، والنَّصْرُ والظَّفْر ، فاللهُ مـعَ المُحْسـنين بنَصْره ومدَده ، يمدُّهم بمدَده ، ويُؤيِّدُهم بجُنْده ، وينْصُرُهم علَى أعـدْائهم فـي الدُّنيا ، ويَرْفَعُ دَرجاتِهم في الآخرَة .

وهذه المعيَّةُ هي الَّتي ذكَّر بها رسُولُ الله ﷺ أبا بكرٍ : ﴿ **إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة :٤٠]. وهي الَّتـي ذكَّـر بهـا موسى بني إسرائيلَ حينَ قالوا : ﴿ **إِنَّا لَمُـدْرَكُونَ قَـالَ كَـلاَّ إِنَّ مَعِـي رَبِّـي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء :٦١، ٦٢] .

---

1 - م (٤/٢٢٨٠/٢٩٦٩) .

وأمَّا جَزاءُ المُحْسنينَ في الآخرَة، فاللهُ يقول: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس :٢٦]. والحُسْنَى هي الجنَّة ،والزِّيادَةُ هي النَّظرُ إلى وجْهِ الكريم سبْحانه[1]، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢، ٢٣] وإنَّما أُكْرِمُوا بالنَّظرِ إلى وجْهِ الكريمِ ، لأنَّ الجزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمل ، وهُمْ لمَّا عايَنُوا اللهَ بقلُوبهم في الدُّنيا فعَبدُوه كأنَّهم يروْنَه ، أكْرمَهُم اللهُ في الآخِرَة ، فكشَف عنْهم الحِجابَ فرَأَوْه بأُمِّ أعيُنِهم .

أما الكفَرةُ الفجَرة، فإنَّهم لما حُجِبَتْ قلُوبُهم في الدُّنْيا عن رُؤيَةِ الله ، حُجبُوا في الآخِرَة عنْ رُؤْيَته ، قال تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤، ١٥] .

نسألُ اللهَ تعالى أن يرْزُقَنا درجَة الإحْسان ، وأنْ يُحْسنَ إليْنَا في الدُّنيا والآخِرَة .

* * *

1 - انظر تفسير ابن كثير (٢/٤١٤) .

تحريم القول على الله بغير علم

سأل جبريلُ النبيَّ ﷺ فقالَ : « **مَتَى السَّاعَة ؟**» ، فقالَ النبيُّ ﷺ :
« **مَا الْمَسْؤُولُ عنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِل** » .

فِي هَذا الجَوابِ فَائِدتان :

الأولى : أنَّه يَجِبُ علَى مَنْ سُئِلَ عمَّا لا يعْلَمُ أنْ يقُولَ : اللهُ أعلَم .

والثَّانِيَةُ : أنَّه لا يعْلَمُ الغَيْبَ إلاَّ الله .

أمَّا عَنِ الفائدةِ الأُولى فنقول :

لقد تحدَّثْنا عن مُراقَبةِ العبْدِ لربِّه في جميع أحوْالِه ، حتَّى يعْبُدَ اللهَ كأنَّهُ يراه، وقُلْنا : إنَّ العبْدَ قد وُضِعَ تحْتَ مُراقَبةٍ شديدةٍ جدًا ، حتَّى إنه تُحْصَى علَيْهِ كُلُّ كبيرةٍ وصغيرة .

ومنْ هذا المُنْطَلَقِ نقول : يجبُ على كُلِّ مسْلمٍ أنْ يُراقِبَ اللهَ تعالى في جميع أحْواله ، كما يجبُ علَيْه أنْ يراقِبَه سبحانه في جميع أفعْاله وأقْوَاله، فإنَّ اللهَ يقول : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**(١٦) **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**(١٧) **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق :١٦-١٨] .

ولذا قالَ العُلماء : ينْبَغِي لكلِّ مُكَلَّفٍ أنْ يحْفَظَ لسانَه عن جميع الكلامِ إلاَّ كلامًا ظهرَتْ مصلَحتُه ، ومتى استَوى الكلامُ وعدَمُه في المَصلَحةِ ، فالإمْسَاكُ عنْه أولَى ؛ ذلكَ لأنَّ كثْرَةَ الكلامِ في المُباحِ رُبَّما تجرُّ إلى الكلامِ في المَكْرُوه أو

المُحرَّم ، وذاكَ شيءٌ مَعْروفٌ من العادة . ولقد كثُرَتِ الأحاديثُ عن النبيِّ ﷺ في الأمْرِ بإمْساكِ اللِّسان وصَيانته ، والنَّهْيِ عن كَثْرةِ الكلامِ وبيانِ خطره . منْ هذه الأحاديثِ قولُه ﷺ : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ** »(١). وقوله ﷺ : « **مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ** » (٢).

وقوله ﷺ : « **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا فِي الجنة . وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ** » (٣).

ولذلكَ كانَ ﷺ ينْصَحُ مَن استَنْصَحَهُ بحفْظِ لسانه :

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ . قَالَ : « **قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ** » قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاأَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ وَقَالَ : « **هَذَا** ».(٤)

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ . فَأَرْشَدَهُ ﷺ إلى وَاجِبَاتِ العِبَادَةِ ونَوافلها ، ثُمَّ قَالَ : « **ألاَ أدلّكَ على مَلاكِ ذَلكَ كُلِّه ؟** » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : « **أَمْسِكْ عَلَيْكَ لسَانَكَ** » . فَقَالَ مُعَاذٌ : وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ يَارَسُولَ الله ؟ فَقَالَ ﷺ : « **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ** ».(٥)

---

1 - متفق عليه : خ (١١/٣٠٨/٦٤٧٥)، م (١/٦٨/٤٧)، جه (٢/١٣١٣/٣٩٧١).
2 - خ (١١/٣٠٨/٦٤٧٤)، ت (٤/٣١/٥٠٢٠) .
3 - خ (١١/٣٠٨/٦٤٧٨) .
4 - صحيح : [ص. ت : ٢٤١٠] ، ت (٤/٣٢/٢٥٢٢)، جه (٢/١٣١٤/٣٩٧٢) .
5 - هو حديث « رأس الأمر الإسلام » وقد سبق .

وإنَّما كان الكلامُ على هذه الدَّرجةِ من الخَطرِ لأنَّ مِنَ الكـلامِ الكـذب ، والغيبة ، والنَّميمة ، وشهادةَ الزُّور ، والشِّركَ بالله ، والقولَ على الله بغَيْرِ عِلْم ، وكلُّ هذه الأنْواعِ من الكلامِ معْلُومَةٌ حُرْمَتُها مِنَ الدِّين بالضَّرورة . وأعْظَمُهـا حُرْمَةً الشِّرْك ، ثُمَّ القولُ علَى الله بغَيْرِ عِلْم ، فالقولُ علَى الله بغَيْرِ عِلْمٍ جريمَـةٌ مِنْ أعْظَمِ الجرائم ، ومُنْكَرٌ من أكْبَرِ المُنْكَرات ، أنْ يقولَ الإنسانُ لما لا يعْلَم : أنا أعلم، ويتكلَّم في الدِّين، هذا حلالٌ، وهذا حرامٌ ، من غيْرِ بيِّنَةٍ ولا بُرْهان .

ولَقَدْ أنكرَ اللهُ على هؤلاء إنكارًا شديدًا فقال تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً قُلْ أَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**(٥٩) **وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [يونس:٥٩، ٦٠] ما ظنُّهم بربِّهم إذا رجَعُوا إليْه : ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [الزمر :٦٠] . وقال تعالى: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ**(١١٦) **مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧] ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٣] .

فهذه أصُولُ المحرَّماتِ الَّتي اتَّفَقتْ عليْها الشَّرائعُ كلُّها ، ولقد بـيَّن ربُّنـا سبْحَانَه أنَّ القَولَ على الله بغَيْرِ عِلْمٍ عملٌ مِنْ أعْمَالِ الشَّيْطان ، فقـال تعـالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**(١٦٨) **إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة :١٦٨، ١٦٩] .

فالواجبُ على كلِّ مُسلمٍ وقد تبيَّن له خطَرُ الكلامِ في الدِّين بغَيْرِ عِلْـمٍ، إذا سُئِلَ عمَّا لا يعلَمُ أنْ يقولَ : اللهُ أعلَم ، فقد قالَها أفضَلُ الخَلْقِ وسيِّدُهم محمدٌ ﷺ، لما سألَه جبْريلُ « **متَى السَّاعة ؟**» قـال : « **مَـا الْمَسْـؤُولُ عَنْهَـا بِـأَعْلَمَ مِنَ السَّائل** » .

والقارِىء للقُرْآنِ الكريم يَجِدُ اللهَ سبْحانَه قد ذكرَ بعْضَ الأسْئلة التي سُـئِلَ عنْها النبيُّ ﷺ ولم يَقُلْ فيها برَأيٍ ، حتَّى جاءَه الجوابُ مِـنَ الله عـنْ طريـقِ جبْريلَ عليْه السلام: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّـاسِ وَالْحَـجِّ**﴾ [البقرة : ١٨٩] . ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ [الأنفـال:١] . ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾ [الإسراء:٨٥] . وهكذا كـانَ دَأْبُه ﷺ ، إذا سُئِلَ عمَّا لا يعلَمُ أنْ يردَّ عِلْمَ ذلكَ إلى الله ، فإنْ جـاءَه جبْريـلُ بالجواب، وإلاَّ سكَت عمَّا لاعِلْمَ له به .

فَلْيَحذر المسْلمُ من الكلام في الدِّين بغير علم ، فإنَّ المتكلِّمَ في الدِّين بغَيْرِ عِلْمٍ ، قد افْتَرى على الله الكَذِب، وعرّضَ نفْسَه للعذاب الأليم ، وباءَ بإثْمٍ عظيم ، قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْـمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنعام : ١٤٤] . فالمتكلِّمُ في الدِّين بغَيْرِ عِلْم ظالمٌ لنَفْسه ، محْرُومٌ منْ هدَايَة الله . والمتكلِّم في الدِّين بغَيْر عِلْمٍ قد باءَ بإثْمه وبـإِثْمِ مَنْ عَملَ بفتْواه قال تعالى : ﴿ **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ** ﴾ [النحل :٢٥] . وقال النبـي ﷺ : « **مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاه** » [1].

لهذا الخَطرِ العظيمِ كان السَّلفُ الصَّالحُ يتورَّعُون عن الفَتْوى ، ويُمْسكُونَ عن الكلامِ في الدِّين بغَيْرِ علم ، وكان الرَّجلُ فيهم إذا سُئِلَ عن مسألةٍ وَدَّ لَوْ أنَّ

---

1 - حسن : [ص. د : ٣١٠٥] ، د (١٠/٩٠/٣٦٤٠)، جه (١/٢٠/٥٣) بنحوه .

أخاه كفَاهُ الإجابة ، وإذا طُلبَ منْه الحديثُ وَدَّ لَوْ أنَّ أخاه كفَاه هذا الحديث ، ولذا قالَ عبْدُ الرَّحمنِ بنُ أبي لَيْلى : أدْرَكْتُ عشْرينَ وَمائَةً منْ أصْحابِ رَسُـولِ الله ﷺ مَا منْهم أحدٌ يُسْأَلُ عنْ شيءٍ إلاَّ وَدَّ أنَّ أخاه قدْ كفَاه ، ولا حَدَّثَ بحـديثٍ إلاّ ودّ أنَّ أخاه قدْ كفاه . وقال ابنُ سيرينَ رَحِمَهُ الله : ما كانَ أحدٌ أهْيَبَ بما لا يعْلَمُ من أبي بكر ، ولا أحدٌ بعْدَ أبي بكْرٍ أهْيَبَ بما لا يعْلَمُ منْ عُمر ، ولقد كانَ عُمَرُ تَعْرِضُ له المَسْأَلة فَيَجْمَعُ لها أصْحابَ الرَّسُولِ ﷺ ليسْتَشـيرَهم فيهـا . وعَـنِ ابْنِ مَسْعُود ﷺ قَالَ : " أيُّها النَّاسُ ، مَنْ سُئِلَ عَنْ علْمٍ يعْلَمُه فليَقُلْ بـه ، ومَـنْ سُئِلَ عمَّا لا يعْلَم فليَقُلْ اللهُ أعْلم ، فإنَّ منَ العلْم أن يقُولَ الرَّجلُ لمَا لا يعْلَـمُ اللهُ أعلم ". وحدَث أنَّ الشَّعْبيَّ سُئِلَ عنْ مسْأَلة ، فقالَ : لا أعْلَمُها، فقالَ أصْـحَابُه : لَقد اسْتَحيَيْنا لك . فقَال الشَّعْبيُّ : لكنَّ الملائكةَ لمْ تَسْتَحِ حينَ قالَت : ﴿**لا علْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا**﴾ [البقرة : ٣٢] .

وعَنْ مالكٍ إمامِ دارِ الهجرةِ ﷺ أنه جاءه رَجُلٌ فقال : يا مَالـك ، مَعـي مسْأَلةٌ قَدْ حمّلنيها أهْلُ بلَدي لأسْأَلَك عنْها، وقد جئْتُكَ منْ مسَافة بعيـدة . فقـال مالك : سَلْ ، فسأَله ، فقالَ مالك : أمَّا هذه فَلا أُحْسنُها ، فبُهتَ السَّائل ، وقـال : يا مَالك ، ما أقولُ لأهْلِ بلَدي إذا رَجعْتُ إلَيْهم ، فقال مالكَ : قُلْ لهُـمْ : مالـكٌ لايُحْسنُها . ولقد كانَ ﷺ يقول : ينْبغي لكلِّ مَنْ سُئِلَ عنْ مسْأَلة قَبْلَ أن يُجيبَ أنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ على الجنَّة والنَّار ، وينْظُرَ كيْفَ خَلاصُه ، ثُمَّ يُجيبُ أوْ لا يُجيب .

وكان الإمامُ الشَّافعيَّ رضيَ اللهُ عنْه إذا سُئِلَ عنْ مسأَلة سكت ، فقيلَ له : لمَ تسْكُت ؟ فقالَ : أنظرُ آلجوابُ خيْرٌ أم السُّكوت . وكانَ الإمامُ أحمـدُ ﷺ إذا سُئِلَ عن شيْءٍ قال : لا أعْلَم ، سَلْ غَيْري ، سَلِ العُلمَاء ، ومثْلُ هذا كثيرٌ وكثيرٌ عن السّلف ﷺ .

ولقد أُثِر عَن ابن عُمرَ أنَّهُ سُئِلَ عنْ مسألةٍ لا يعْلَمُها ، فقال : لا أعْلَم ، ثُمَّ خرَجَ يفرُكُ يَديْه وهو يقول : سُئِلَ ابنُ عُمرَ عمَّا لايعْلَم ، فقالَ : لا أعْلم . ذلكَ أنَّه رأى أنَّ قولَه لا أعلَمُ انْتصَارٌ على نَفْسه وشَيْطانه ، فسُرَّ لأنَّه قال لا أعْلَم ، ذلكَ أنَّ الشيَّطانَ يُزيِّنُ للنَّفْس حُبَّ الظُّهور والرِّفْعَة ويُخوِّفُها من الاتِّهام بالجَهْل ، وانْتقاص القَدْر ، كيْفَ تقولُ لا أدْري ، أَجبْ فإنَّ المسْألةَ خفيفــة ، إنَّ المسْــألةَ لاتحتاجُ إلى نظَر ، لا تحتاجُ إلى علْم ، فلا يزالَ الشَّيْطانُ بالمسْؤولِ حتى يُجِيبَ بغَيْرِ علْمٍ فيبوءَ بإثْمِ نَفْسه وإثْمِ مَنْ أفتاه .

وإنَّ ممَّا يُؤْسَفُ له خَوْضَ كثيرٍ من العوامِّ في مسائِل الدِّين ، وتَجَــرُّؤَهم على الفَتْوى بغَيْرِ علْم ، فقلّما يجلسُ الرَّجُل منَّا في مجْلس ، فتُطْرَحُ مسْألةٌ مِــنَ المسائل ، إلا ورأيْتَ كُلاًّ يُدْلي بدَلْوه ، بعلْمٍ وبغَيْرِ علْم ، وأشدُّ من ذلك أسفًا أنْ يصدُرَ ذلكَ من بعْضِ طلَبةِ العلم ، الَّذين لم يبْلُغوا بعْدُ مبْلَغَ الفُتْيا .

فاللهَ اللهَ عبادَ اللهِ في أنْفُسكم ، اللهَ اللهَ في دينكم ، إنَّ العلْمَ أمانة ، وأمانَــةٌ ثقيلة ، وإنَّ الفُتْيا أمْرُها خطير جدًا ، وليسَ في العلْم شيءٌ بسيطٌ ولا هيِّن ، ولذا سئل إمَامُ دار الهجْرَة ﷺ عن مسْألةٍ فلَمْ يقُلْ فيها شيئًا ، فقيل له : إنها مسْــألةٌ خَفيفَةٌ ، فغَضبَ ﷺ وقال : ليْسَ في العلْم شيءٌ خفيف .

إنَّ المُفْتي داخلٌ بيْنَ الله وعباده ، فلينْظُرْ أحدُكم كيْفَ يدْخُل ، ولا يسْتَحي أحدُكم أنْ يقولَ لما لا يعْلَمُ اللهُ أعلم ، ولا يسْتَحْي أنْ يقولَ لا أدْري ، فإنَّ ذلــكَ يرْفَعُه ولا يَضعُه ، ويزيدُ في ثقَة النَّاس به ، لأنَّهم إذا رأَوْه لا يتعجَّل بالفَتْوَى ، ولا يُجيبُ في كلِّ ما يُسْأَلُ عنْه ، علمُوا أنَّه لا يُجيبُ إلا بَما يعلَم ، فَوثِقُوا بـــه ، وأَقْبَلُوا علَيْه .

أسأل اللهَ العظيمَ ربَّ العرْشِ العظيم أن يرزُقَنا علْمًا نافعًا ، وعمَلاً متقبَّلاً، ورزقًا طيبًا .

* * *

لا يعلم الغيب إلا الله

هذه هيَ الفائدةُ الثَّانية ، المستَفادةُ من جوابه ﷺ لجبْريلَ ، وقد سأله : «متَى السَّاعَةُ ، **فَقَال : مَا الْمَسْؤُولُ عَنْها بأعْلَمَ منَ السَّائل** » .

والغَيْبُ : مصدَرُ : غَابَتِ الشَّمْسُ وغَيْرُها ، إذا استَتَرتْ عن العَيْن، ثُمَّ استُعْمِلَ في كلِّ ماغابَ عنْك ، ولم تَقُمْ علَيْه قرينةٌ تدلُّ عليْه، فكلُّ ما غابَ عنْكَ ولا تُوجدُ قرائنُ تدلُّك علَيْه، فهذا هو الغَيْب، ولا أحدَ سوى الله في السَّموات ولا في الأرْضِ يعلَمُ ما غَاب عنْه، لأنَّ علْمَ الغيْبِ من خصائصِ الربِّ سبْحانه وتعالى . وقد كثُرَتِ الآياتُ الكريمةُ في بيانِ ذلك :

يقول تعالى: ﴿ **قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [النمل : ٦٥] . ويقول : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [فاطر: ٣٨] . ويقول : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الحجرات :١٨] . ويقول : ﴿ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ** ﴾ [هود: ١٢٣] . ويقول : ﴿ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ** ﴾ [النحل: ٧٧]. ويقول : ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ [الأنعام :٥٩] .

ولمَّا خاضَ النَّاسُ في عددِ أهْلِ الكهْف : كَمْ كانوا ؟ وكَمْ لبِثُوا ؟ أنْكَر اللهُ تعالى علَيْهم خوْضَهم فيما ليْسَ لهم به علْم ، فقال سبحانه : ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾ [الكهف : ٢٢] . وقال تعالى : ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** (٢٥) **قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [الكهف :٢٥، ٢٦] .

وقد بيَّن سبحانَهُ أنَّ الغيْبَ لم يطَّلِعْ علَيْه ملَكٌ مقرّب ، ولا نبيٌّ مُرْسَل ، ولا وليٌّ صالحٌ منَ الإنْسِ ولا منَ الجنّ ، فقال تعالى عن الملائكة : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ [البقرة : ٣١، ٣٢] .

وقد أمر اللهُ نبيَّنا محمَّدًا ﷺ أن يقولَ لقَوْمِه أنَّه لَيْس له منْ علْمِ الغَيْبِ شَيء ، وأنَّه لا يعْلَمُ إلاَّ ما علَّمه الله ، فقال تعالى : ﴿ **قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ**﴾ [الأنعام : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿ **قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٨٨] . وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ(١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنْ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ(١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ [الأنبياء:١٠٨- ١١١].

فعُلِمَ منْ هذه الآيات أنَّ نبيَّنا ﷺ لا يعْلَمُ الغَيْب ، ولذا فإنَّه ﷺ لما تكلَّم أهْلُ الإفْك في الصِّدِّيقَة بنْت الصِّدِّيق عائشةَ رضيَ اللهُ عنْها ، لَمْ يعْلَمْ ﷺ أبريئةٌ هيَ أمْ لا ؟ حتَّى إنَّه دخلَ علَيْها يوْمًا فقال : « **يَا عَائِشَةُ ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وتُوبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ** » (١). ولَمْ يَعْلَمْ ﷺ براءَةَ زَوْجِه حتَّى نزلَ الوَحْيُ ببراءتها منْ فوْقِ سَبْعِ سَموات . ولمَّا قذَف رَجُلٌ امرأتَه وجاءَ بها يتلاعَنان عنْدَ رسُولِ الله ﷺ ، قالَ ﷺ : « **اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ**

١ - متفق عليه : خ (٥/٢٦٩/٢٦٦١)، م (٤/٢١٢٩/٢٧٧٠) ، ت (٥/١٣/٣٢٣٠) .

أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ » [١] ولم يعلم ﷺ الصادق منهما .

ولقد كانَ ﷺ حريصًا على تَرْسيخ هذه العقيدَة في نُفُوس أصْحَابه ، فحدَثَ أنَّ جَارِتَيْن كانَتا تُغَنِّيان في عُرْس ، فقَالَتْ إحْدَاهُمَا : « **وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَد** » فقال ﷺ : « **دَعِي هَذه وَقُولِي مَا كُنْت تَقُولين** »[*]. ولذا قالَتْ عَائشَةُ رَضِيَ اللهُ عنْها : « ثَلاَثٌ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ : مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَد فَقَدْ كَذَبَ ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ محمدًا كَتَمَ شَيْئًا ممَّا أُمِرَ بتَبْليغه فَقَدْ كَذَبَ ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ » [٢].

ولقد ذكَر لنا القُرْآنُ الكريمُ عن نُوحٍ علَيْه السَّلام ما ذُكرَ عنْ نَبِّينا ﷺ ، فقالَ تعالَى حكايةً عن نُوحٍ علَيْه السلام : ﴿ **وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ** ﴾ [هود :٣١] .

ولما جاءَت الملائكَةُ إبراهيمَ علَيْه السَّلامُ في صورَة بَشرٍ ، لم يَعْرِفْ أنَّهم ملائكة : ﴿ **فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ**(٢٦) **فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ**(٢٧) **فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ** ﴾ [الذاريات :٢٦-٢٨] . ولما أتَوْا لوطًا عليه السلام لم يَعْرِفهم أيْضًا ، وظنَّهم بَشرًا ، فخافَ علَيْهم منْ قَوْمه : و﴿ **سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** ﴾ [هود:٧٧] . فقَالُوا له : إنَّا رُسُلُ رَبِّك .

---

1 - خ (٩/٤٤٥/٥٣٠٧)، د (٦/٣٤١/٢٢٣٧)، ت (٥/١٢/٣٢٢٩)، جه (١/٦٦٨/٢٠٦٧).
* - خ (٩/٢٠٢/٥١٤٧) .
2 - متفق عليه : خ (٨/٢٧٥/٤٦١٢)، م (١/١٥٩/١٧٧)، ت (٤/٣٢٨/٥٠٦٣)، د (١٣/٣٦١/٧٣٨٠)، .

ويعقوبُ عليْه السَّلام ابيضَّتْ عيْنَاهُ منَ الحُزْنِ لفرَاقِ يُوسفَ عليْه السلام ، ويُوسفُ في مصرَ ، ويعْقوبُ لا يدْري ماخبَرُه ، ولا يعْلَمُ عنْه شيْئًا حتَّى أظْهَر اللهُ أمْرَ يُوسف ، ﴿**وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾[يوسف:٥٨] ، ولمَّا احْتالَ على إبْقاءِ أخيه عنْدَه رجَع إخْوتُه فقالوا لأبيهم ، وقد كانوا آتوْه مَوْثقَهم ليردُّنّ إليه أخاهم ، فلما أخذه يوسفُ بالحيلة اعْتَذَرُوا لأبيهم بقَوْلهم : ﴿ **إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حافظِينَ**﴾ [يوسف:٨١]. وهكَذا نرَى أنَّ أفْضَلَ الخَلْقِ وأكْرَمَهُم علَى اللهِ وهُمُ الملائكَةُ والمُرْسَلُون لايعْلَمُونَ الغَيْب .

أما الجنُّ الَّذين فُتنَ بهم كَثيرٌ منَ النَّاس وظنُّوا أنَّهم يعْلَمُونَ الغَيْب ، فقدْ قالَ تعالى عنهم : حكايةً عن سُلَيْمانَ عليْه السَّلام : ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ منسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ** ﴾ [سبأ :١٤] . وقد صرَّحت الجنُّ أنَّهم لا يعْلَمُون الغَيْب ، وذلكَ في قَوْلهم كما حكَى اللهُ في سُورَةِ الجنِّ : ﴿ **وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾[الجن:١٠].

فتبيَّن من كلِّ هذا أنَّه ﴿ **لايَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [النمل :٦٥] ، ومنَ الغيْبِ علْمُ السَّاعة ، متَى السَّاعة ؟ نسْمَعُ كثيرًا من النَّاس يقولُون : تؤلِّف ولا تؤلِّفان ، ونسمَعُ كثيرًا من النَّاس يقولون : إنَّ الله لم يختَصَّ بعلْمِ السَّاعة ، وإنَّما أظْهَرها للنَّاس ، ويُمكنُ بالحساب معْرفَةُ متَى السَّاعة ، وهذَا دَجلٌ وهُرَاء ، فإنَّ اللهَ تعالى قد أخْبَر في كتابه أنَّه لا يعْلَمُ متَى السَّاعَةَ إلاَّ الله ، فقَال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان :٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاتَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف :١٨٧] ، وقال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا(٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا(٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا(٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا** ﴾ [النازعات:٤٢-٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ **إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [فصلت :٤٧] ، وقال تعالى : ﴿ **وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [الزخرف:٨٥] .

التحذير من إتيان الكهنة والعرّافين :

إذا علمْنا أنَّه لايعْلَمُ الغيْبَ إلا الله ، فالواجبُ علينا أن لا نُصدّقَ كاهنًا ولا عرّافاً ولا مَن يدّعي شيئًا يخالِفَ الكتابَ والسُّنَّةَ وإجْماعَ الأمة .

إنَّ إتْيانَ الكهَّانِ والعرّافين حرام ، وتَصْديقَهم كُفْرٌ ، قال ﷺ : « **مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** » [1].

وقال ﷺ : « **مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا ، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ : فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** » [2]. فقد كفرَ بما أُنْزِلَ على محمَّد ، لأنَّ ممَّا أُنْزِلَ على محمَّدٍ : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن :٢٦] . وهذا الكاهنُ أو العرَّافُ قد ادَّعى عِلْمَ الغيْبِ وصدّقه مَنْ أتاه، فكذَّب صريحَ القرآن .

---

1 - م (٤/١٧٥١/٢٢٣٠) .

2 - صحيح : [ص. جه : ٥٢٢] ، جـه (١/٢٠٩/٦٣٩)، د (١٠/٣٩٨/٣٨٨٦)، ت (١١/٩٠/١٣٥) وليس عنده جملة (فصدقه..).

شُبْهَةٌ وجَوابُها :

رُبَّ قائلٍ يقول : فما تقولُ فيما نسْمَعُه مِنْ بعْضِ الكهَنةِ والعرّافين ، حيثُ أنَّهم ربَّما أخْبَرُوا بالشَّيْءِ فيكونُ كما أخْبَرُوا ؟

والجواب : أنَّ هذه شُبْهَةٌ قديمةٌ لا حديثة :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **لَيْسُوا بِشَيْءٍ** » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ** » [1].

الْجِنُّ تَسْتَرِقُ السَّمْع ، واللهُ سُبْحانَه قد حَفِظَ السَّماءَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ : ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ** ﴾ [الملك :٥] . ولكنْ رُبَّما تمكَّنَ الجنِّيُّ مِنْ أن يَقُرَّ الكلمةَ الَّتي سَمِعها فِي أُذُنِ وليِّه قبْلَ أنْ يُدْرِكَهُ الشِّهابُ الثَّاقِب ، فيَخْلِطُ معَها الوليُّ مِائةَ كَذِبَة .

شُبْهَةٌ أُخْرَى وجَوابُها :

وقدْ يقولُ قائل : فما تقولُ في الكاهنِ الَّذي يُبادرُ الدَّاخلَ عليْه بذِكْرِ اسْمِه واسْمِ أبيه واسْمِ أُمّه ، ويقصّ عليْه ما كانَ مِنْ أمْرِه قبْلَ أن يَأْتِيَه ، عِلْمًا بأنَّ هذا الكاهِنَ لا يعْرِفُ هذا الإنسانَ ولم يجْتَمِعْ به قبْلَ هذه المرَّة ؟

والجواب : أنَّ كلاًّ منَّا معه قرينٌ منَ الجنِّ وقرينٌ منَ الملائكة ، كما شرَحْنا ذلكَ في الكلامِ عن الملائكة ، وهذا الكاهنُ يتعاملُ مع الجنّ ، فإذا تحرَّك أحدٌ منَ النَّاسِ نحْوَ هذا الكاهنِ سبَقه قرينُه من الجنّ فأعْلَمَ الجنيَّ الذي يتعاملُ

---

1 - متفق عليه : خ (١٠/٢١٦/٥٧٦٢) ، م (٤/١٧٥٠/٢٢٢٨) .

معه الكاهِنُ بنَبأ هذا القادِم، فإذا دخلَ عليْه ، بادَره بما ذكرْنا فتكونُ زيادةَ فتْنــةٍ لهذا الَّذي أتاه فيؤمنُ به ويُصدِّقه ، وهذا نوْعٌ من أنْواعِ استِمْتَاعِ الإنْسِ بالجنِّ ، والجنِّ بالإنْس ، إذ أنَّ الجنّ لا يخْدمُ الإنْسَ إلا إذا خدَم الإنْسُ الجنَّ ، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَــاؤُهُمْ مِنْ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام:١٢٨]

فاحذَرْ يا عبْدَ الله الكهنَةَ والعرَّافين ، واعْلَمْ أنَّك مسْؤولٌ عن هــذا المــالِ الذي تعطيه لهم ، فتُبْ إلى ربِّك وجدِّدْ إيمانَك . ونسألُ اللهَ أن يتُوبَ على جميعِ العُصَاة والمُذْنبين .

* * *

خاتمــة

أخي القارئ : هذا ما كنْتُ ألقيْتُه من الخُطَب في بيــانِ معْنَــى الإسْــلامِ والإيمانِ والإحْسانِ، فإنْ كُنْتُ وُفِّقْتُ فــ " ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ" وإنْ كَانَ غَيْرُ ما أَرَدْتُ فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إِلَيْه .

أمّا أمَاراتُ السَّاعَة فقَدْ أفردْتُها برسالةٍ خاصَّةٍ ، سَّميْتُها :

« **رِحْلَةٌ فِي رِحَابِ الْيَوْمِ الآخِرِ** » .[١]

تحدَّثْتُ فيها عن أمَاراتِ السَّاعةِ ، واليَوْمِ الآخِرِ : مِنَ النَّفْخَةِ الأُولى فــي الصُّورِ ، إلى أنْ يتبوَّأَ أهْلُ الجنَّة منازِلَهم ، وأهْلُ النَّارِ منَازِلَهم .

وأَسْأَلُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرْشِ العظيمِ أنْ يُجِيرَني وسَائِرَ المُسْــلِمينَ مِــنْ خِزْيِ الدُّنْيا وعذَابِ الآخرة .

والحمْدُ للهِ ربِّ العالمين .

* * *

---

1 - وقد طبعت مرتين، ثم وفقني الله عز وجل فأعدت الخطابة بها في مسجدنا العامر " **مسجد النور بالشين– مركز قطور** "، وتوسّعت فيها ، وزدت عليها زيادات حتى بلغت أربعين خطبة ، ولذلك سميتها: " **الأربعون المنبرية في أشراط الساعة والأمور الأخروية** " وهي ساعة كتــابتي هــذا التعليق في المطبعة، فلا أدري أيهما يخرج أوّلاً ، أكمل البيان، أم الأربعون؟ أسأل الله التيسير.

الفهـــــرس

* * *

شرح الرموز المستخدمة في التخريج والتحقيق

الرمز	الشـــــرح	الرمز	الشـــــرح
بز	البزار	ص.خد	صحيح الأدب المفرد
ت	ترمذى	ص. د	صحيح أبى داود
جه	ابن ماجه	ص.نس	صحيح النسائى
حب	ابن حبان	طب	الطبرانى في الكبير
حم	مسند أحمد (الفتح الربانى)	طح	الطحاوى شرح معانى الآثار
خ	البخارى (فتح البارى)	طس	الطبرانى في الأوسط
خز	صحيح ابن خزيمة	طص	الطبرانى في الصغير
د	أبو داود (عون المعبود)	قط	الدارقطني
س.ص	السلسلة الصحيحة	كم (ك)	الحاكم
ش	مصنف ابن أبى شيبة	م	مسلم
ص.ت	صحيح الترمذى	مى	الدارمى
ص.جه	صحيح ابن ماجه	نس(ن)	النسائى
		هق	البيهقى